الفصل السابع
النـــــــار

- أسماءها.
- أبوابها.
- خزنتها.
- وقودها.
- دركاتها.
- شكل أهل النار وملابسهم.
- أنواع العذاب.
  - العذاب النفسى وأشكاله.
  - العذاب الجسدى وأشكاله.
- طعام وشراب أهل النار.
- فى الطريق إلى النار.
- مواقف وحوارات على أبواب النار.
- الدخول إلى النار.
- مواقف وحوارات داخل النار.
- الخلود فى النار.
- الشفاعة.
- نهاية يوم القيامة.

obeikandi.com

obeikandl.com

النـــــــار

النار إحدى مخلوقات الله، التى أعدها سبحانه وتعالى وهيأها لتكون صالحة للمهمة المكلفة بها، ألا وهى عذاب المذنبين والمجرمين الكافرين- وقانا الله شرها- **قال تعالى** ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران:١٣١، ولأن المعد هو الحق سبحانه وتعالى لذلك ليس هناك عذاب يعادلها أو أشد منها على الإطلاق، **قال سبحانه وتعالى عنها** ﴿ هِىَ حَسْبُهُمْ ﴾ التوبة:٦٨ أى هى كافية تماما بما فيها من ألم وهوان لمعاقبة من أستحق العذاب. وتتعدد الآيات فى القرآن الكريم التى تعطى وصفا تفصيليا لجهنم وكيفية عذاب أهلها لكى يتقيها العباد **قال تعالى** ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ الزمر:١٦ وإذا كان الشعور بأى عذاب يبدأ شديدا ثم يخف نتيجة التعود عليه إلا أن عذاب النار يبدأ شديدا ثم يزداد الإحساس بشدته وقسوته مع مرور الوقت **قال تعالى** ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ:٣٠، لذلك كان الفوز كل الفوز لمن نحى وأبعد عنها وأدخل الجنة ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ آل عمران: ١٨٥.

ولأن الملائكة يدركون تماما ما هى النار وما فيها من أنواع العذاب فنجدهم يشفقون على إخوانهم المؤمنين منها ويطلبون المغفرة لهم، ويرجـــون مـــن الحق عـــز وجل أن يصفح عن التائبين منهم، وأن يحفظهم من عذاب جهنم، وأن يدخلهم جنات النعيم مع من صلح من الآباء والأزواج والأولاد، وأن يحفظهم فى الحياة الدنيا من فعل المنكرات والفواحش **قال تعالى** ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ غافر:٧-٩ وقد استجاب الله عز وجل لدعائهم ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾الطور:١٧-١٨.

والنار باعتبارها أحد المخلوقات المسبحة لله، تكره غير الملتزمين بمنهج الله، فمجرد أن تلمح المجرمين وهم مقبلون عليها من مسافات بعيدة تنفعل للمهمة التى خلقت من أجلها ويصدر عنها صوتا شديدا يعبر عن شدة غيظها منهم **قال تعالى** ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ الفرقان:١٢ وبمجرد أن يسمع الكفار زفيرها يصبهم الهلع والفزع، وازدادوا رعبا على رعبهم وحاولوا الفرار والبعد عنها ولكن أين المفر ؟ **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ غافر:٣٣ وهى تعرف أصحابها جميعا فردا فردا فهى تناديهم وتدعوهم إليها **قال تعالى** ﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ المعارج:١٧ وعندما يلقوا فيها تنفعل انفعالا شديدا وتكاد تنقطع وينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها وحنقها عليهم **قال تعالى** ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ ﴾ الملك:٧-٨ ولأنها تطيع أوامر الله سبحانه، تشعر بالرضى والسعادة عندما تعذب هؤلاء المجرمين فهى دائما تريد المزيد منهم **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق:٣٠.

أسماء النار:

عبر القرآن الكريم عن النار بعدد من الأسماء، بحيث يعبر كل أسم عن صفه من صفات النار وشكل من أشكال العذاب فمن هذه الأسماء:

- لظى: أى تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها **قال تعالى** ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ ﴾ المعارج: ١٥-١٦.
- الحطمة: سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه **قال تعالى** ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ ﴾ الهمزة:٤-٥.
- السعير: لأنها دائما موقده لا تنطفئ أبدا **قال تعالى** ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ الشورى:٧.
- سقر: سميت النار بسقر لأنها تحرق الجلد فتجعله أشد سوادا من الليل **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ القمر:٤٨ ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ ﴾ المدثر: ٢٦-٢٧.

- الجحيم: أى النار الشديدة التأجج **قال تعالى** ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ التكاثر:٦.

- الهاوية: سميت بها لشدة عمقها وبعد مهواها **قال تعالى** ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ القارعة:٩ سماها أما لأن الأم مأوى الولد ومفزعه، فهى تؤوى المجرمين.

- السموم: أى التى ينفذ عذابها من مسام الجلد ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ الطور:٢٧.

- جهنم: مشتقة من الجهومة وهى الغلظ سميت به لغلظ أمرها فى العذاب **قال تعالى** ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر:٤٣.

أبواب النار:

لجهنم سبعة أبواب-لا تشبه الأبواب التى نعرفها فى الحياة الدنيا إلا فى الاسم فقط - والله سبحانه أعلم بشكلها وحجمها وكل باب من الأبواب السبعة مخصص لدخول واستقبال طائفة معينة من العاصيين، ربطت بينهم فى الدنيا معصية ما وجمعهم فى الدنيا ولاء ما، بحيث لا يدخل منه غيرهم ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ الحجر:٤٤ وإذا كانت أبواب الجنة مفتحة تنتظر قدوم أهلها فأن أبواب جهنم مغلقة لا تفتح إلا عند وصول كل من أستحق العذاب **قال تعالى** ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ الزمر:٧١ وبمجرد أن يدخل النار كل من أستحق العذاب تغلق عليهم جميع الأبواب **قال تعالى** "إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ" الهمزة:٨ **وقال تعالى** " عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ " البلد:٢٠ حيث تحبسهم وتحصرهم وتمنعهم من الخروج فهى لهم بمثابة السجن لا يستطيعون الفرار منه " وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا " الإسراء: ٨ يقوم على حراسة هذه الأبواب ملائكة هم خزنة جهنم تمنع أصحاب النار من الخروج **قال تعالى** " كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ " الحج: ٢٢.

خزنة النار:

يقوم على أمر جهنم وحراستها ويتسلط على أهلها بالعذاب ملائكة، هم من أشد خلق الله بأسا وأقواهم بطشا، الله أعلم بشكلهم، منظرهم مرعب، فالنظر إليهم وحده عذاب، يصفهم

عز وجل بأنهم غلاظ فى أقوالهم وأفعالهم، ليس لديهم شفقة أو رحمة بأصحاب النار فهم لا يرحمون إذا استرحموا حبب إليهم عذاب المجرمين، ولا يعصون لله أمرا أبدا **قال تعالى** " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ" التحريم:٦. قائدهم أو كبيرهم يسمى مالك **قال تعالى** "وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ " الزخرف:٧٧ وهم يعرفون أصحاب النار معرفة تامة، ومقدار عقوبة كل منهم، حيث يقذفون بهم فى النار **قال تعالى**" يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ" الرحمن:٤١ وهم لا يعذبون المجرمين فى صمت ولكن يدور بينهم حوارات متعددة – سيأتى ذكرها – كلها توبيخ وسخرية ليزدادوا غما على غم، وشتان بين ملائكة الجنة التى تستقبل أهلها بالسلام والترحاب وبين ملائكة جهنم التى تستقبل أهلها باللعنات **وقال تعالى** "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ " البقرة: ١٦١.

أما عن عدد خزنة جهنم **يقول تعالى** "عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ" المدثر:٣٠، وتعددت الآراء فى تفسير **قوله تعالى** " عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ" هناك من يقول أن خزنة جهنم الموكلون عليها، تسعة عشر ملكا من الزبانية الأشداء الأقوياء. وذهب بعضهم إلى أن التمييز المحذوف:صفا، أو صنفا أى: عليها تسعة عشر صفا أو صنفا من الملائكة. والجمهور من المفسرين على أن المراد بهذا العدد هو رؤساء ملائكة جهنم، فمعنى أنهم عليها أى أن الذين يتولون أمرها وتعذيب أهلها وإليهم رئاسة زبانيتها تسعة عشر ملكا، وأما عددهم الإجمالى فالعبارة تعجز عنها كما **قال تعالى** " وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " المدثر:٣١ وأن العدد الحقيقى لا يعلمه إلا الله، وهو كالمتشابه يؤمن العبد به ويفوض علمه إلى الله.

وقود النار:

نار جهنم لا يمكن أن تقارن بالنار التى نعرفها فى الحياة الدنيا، لأننا إذا أردنا المقارنة بينهما فكأننا نقارن بين قدرة الله سبحانه وتعالى الغير محدودة وقدرة الإنسان المحدودة فالشرر المتطاير منها كل شررة منه مثل القصر الضخم، ولك أن تتصور إذا كانت الشرارة مثل القصر العظيم فكيف يكون حال النار التى ترمى بذلك؟ **قال تعالى** "إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ " المرسلات:٣٢-٣٣، لذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندما أراد أن يبين لأصحابه ولنا من بعدهم شدة نار جهنم، أوضح لهم أن نار الدنيا التى يعرفون شدتها ما هى إلا مجرد جزء بسيط جدا من نار جهنم قال صلى الله عليه وسلم (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم. قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية **قال: فضلت عليهن** بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) [1]، والمراد المبالغة فى الكثرة لا العدد الخاص، ويكفى لبيان شدتها **قوله تعالى** " لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ " المدثر:٢٨ أى لا تبقى على شىء فيها إلا أهلكته على آخره، ثم يعادون خلقا جديدا فلا تلبث أن تعاود إحراقهم وهكذا إلى الأبد وهى دائما موقدة تتأجج **قال تعالى** "كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا " الأسراء: ٩٧.

وقد اقتضت حكمة الحق سبحانه أن يعذب أصحاب النار بعضهم ببعض، فأجساد أهل النار سواء من الإنس أو الجن أو الأصنام التى عبدوها فى الحياة الدنيا هى وقود النار "فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " البقرة: ٢٤ **والمقصود بالناس هنا الكافرين من الإنس مصداقا لقوله تعالى** "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" آل عمران:١٠ وأيضا والكافرون من الجن " وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا" الجن:١٥ وأما **المقصود بالحجارة فهى الأصنام التى عبدوها من دون الله، قال تعالى** "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" الأنبياء:٩٨.

وتحيط النار **بأهلها إحاطة تامة من جميع الجهات قال تعالى** " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ " العنكبوت:٥٤- ٥٥ **وقال تعالى** "لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ " الأعراف:٤١ أى تحتهم فراش من النار ومن فوقهم أغطية من النار **وقال تعالى** " لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ " الزمر:١٦.

دركات جهنم:

تتسع النار لكل من أستحق العذاب، فلقد أعد الحق سبحانه لكل فرد سواء من الإنس أو الجن منذ بداية الخليقة حتى قيام الساعة مكان فى النار، فإذا فرض جدلا أن عصت جميع المخلوقات، واستحقت العذاب لوسعتهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل أحد

الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرا، ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة) [٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا مات فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله. فذلك **قوله تعالى** "أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ" المؤمنون: ١٠) [٣].

وتتسم النار بأنها شديدة العمق لذلك سميت الهاوية لبعد مهواها فهى دركات ومنازل لا يعلم عددها إلا الله سبحانه، تختلف فيما بينها فى شدة ونوع العذاب، حيث يشتد العذاب كلما اتجهنا إلى أسفل فالعذاب فى الدركات السفلى أشد من غيرها **قال تعالى** " إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ "، النساء:١٤٥.

فإذا كان عذاب جهنم شديد بصفة عامة **قال تعالى** " وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " إبراهيم: ٢ إلا أن هناك فرق فى شدة ونوع العذاب، فأهل النار متفاوتون فى العذاب وينزلون فى جهنم دركات تبعا لأعمالهم السيئة التى اقترفوها فى الحياة الدنيا، فمنهم مثلا من توعده الحق سبحانه بالويل وهو نهاية الوعيد والتهديد **قال تعالى** "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ " البقرة: ٧٩، ومنهم من يتعرض لأشد أنواع العذاب مثل فرعون وقومه **قال تعالى** " وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ " غافر: ٤٦، ومثل اليهود الذين عصوا أوامر الله وكفروا ببعض أحكام التوراة **قال تعالى** " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " البقرة:٨٥ ومنهم أيضا من ينال أسوء أنواع العذاب مثال الذين بذلوا كل نفيس وغال لإثارة الشبهات حول القرآن الكريم **قال تعالى** " وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ " سبأ:٥.

ومن أهل النار من يضاعف له العذاب مثل الذين كفروا ومنعوا الناس عن الدخول فى الإسلام، لأنهم ارتكبوا جريمة صد الناس عن الهدى بالإضافة إلى جريمة الكفر **قال تعالى** " ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ " النحل: ٨٨.

ويعبر النبى صلى الله عليه وسلم عن تفاوت أصحاب النار فى العذاب بقوله (منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته) (٤).

إذا كان الأمر كذلك فمن هم أشد أهل النار عذابا؟ ومن هم أخف أهل النار عذابا؟

أما أشد أهل النار عذابا فهم المنافقون **قال تعالى** "إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ" النساء:١٤٥ لأن المنافقين أخطر من الكافرين، يتظاهرون بالإيمان، ويبطنون الشر والكفر، ليطعنوا الإسلام من داخله ويفسدون فى الأرض ويحاربون منهج الله سبحانه، فاستحقوا أن يكونوا أشد أهل النار عذابا.

أما أخف أهل النار عذابا هو من يوضع فى باطن قدمه جمرة أو حصاة صغيرة من حجارة النار من شدتها يغلى منها دماغة يقول صلى الله عليه وسلم (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه) (٥). الأخمص: باطن القدم وما رق من أسفلها.

شكل أهل النار وملابسهم:

إذا كان أهل الجنة وجوههم نضرة من كثرة النعيم، فوجوه أصحاب النار عابسة من شدة العذاب **قال تعالى** " تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ" المؤمنون:١٠٤ لونها شديد السواد **قال تعالى** " كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا " يونس:٢٧، وكذلك تتضخم أجسام أصحاب النار ليزدادوا عذابا فوق العذاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرس الكافر أو- ناب الكافر- مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث)(٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاث أيام للراكب المسرع) (٧) وإذا كانت ملابس أهل الجنة من الحرير، فإن ملابس أصحاب جهنم من النار **قال تعالى** "فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ " الحج:١٩ وهى مصنوعة من مادة سريعة الاشتعال سوداء اللون نتنة الرائحة تعرف بالقطران **قال تعالى** " سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ " إبراهيم:٥٠.

أنواع العذاب:

وصف الحق سبحانه وتعالى عذاب النار بالعديد من الصفات منها:

- أنه عظيم لأنه منسوب إلى قدرة الله سبحانه **قال تعالى** "خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " **البقرة:** ٧.

- وأنه أليم **قال تعالى** "فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ " **البقرة:**١٠.

- وأنه شديد **قال تعالى** "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ " آل عمران:٤.

- وأنه غليظ **قال تعالى** "يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ۖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ " **إبراهيم:**١٧.

- وأنه محرق **قال تعالى** "كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ " **الحج:**٢٢.

- وأنه خالد لا ينقطع ولا يخف ولو للحظات **قال تعالى** "خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ " **البقرة:**١٦٢ **وقال تعالى** "دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ " **الصافات:**٩ **وقال تعالى**" مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" **الزمر:**٤٠.

- وأنه شاق مرهق لا يطاق **قال تعالى** " لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا " **الجن:**١٧.

- وأنه فظيع **قال تعالى** " قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا " **الكهف:**٨٧.

- وأنه مهين فيه إذلال **قال تعالى** " وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ " **البقرة:**٩٠.

العذاب النفسى:

العذاب يوم القيامة ليس عذابا ماديا للجسد فقط، ولكنه أيضا عذاب نفسى مهين فيه إذلال للمذنبين والمجرمين **قال تعالى** " وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ " فصلت:١٦ فكل من يدخل النار يهان أشد الإهانة " رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" آل عمران:١٩٢ **وقال تعالى** "سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ " الأنعام:١٢٤ أى سيصيب هؤلاء المجرمين "صغار" بمعنى الذل والهوان (عذاب نفسى)، "وَعَذَابٌ شَدِيدٌ" (عذاب جسدى) وبالرغم من اهتمام القرآن الكريم ببيان أنواع العذاب النفسى إلا بعض الناس اهتموا بالعذاب الجسدى فقط بالرغم من أنه لا يقل فى شدته عن العذاب الجسدى بل أحيانا يفوقه فقد وصف سبحانه العذاب الذى يتعرض له الكافرين يوم القيامة بأنه مهين " فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ" الأحقاف:٢٠ كما أن الحق عز وجل أوضح أن عذاب جهنم هو الذل العظيم والشقاء الكبير "أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ " التوبة:٦٣.

لذلك نجد خليل الرحمن وأبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو الله سبحانه أن لا يذله ولا يهينه يوم البعث " وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ " الشعراء:٨٧ لأن الذل والإهانة بالنسبة له عذاب ما بعده عذاب، كذلك أولى الألباب من المؤمنين لا يذكرون العذاب الجسدى لمن يدخل النار، ولكنهم يذكرون خزى الله لمن دخل النار. وكأن عذاب الخزى النفسى مرتبة أشد من عذاب النار الجسدى، لذلك لا يدعون ربهم أن يقيهم عذاب النار فقط، بل يدعون ربهم أن لا يخزيهم يوم القيامة " رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ" آل عمران:١٩٤. وقد استجاب الحق سبحانه لدعائهم، وكما وعدهم بالجنة يعدهم أيضا أن لا يذلهم ولا يخزيهم ولا يهينهم يوم القيامة **قال تعالى** " يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ" التحريم: ٨ وإذا كان أصحاب النار يريدون الخروج منها لشدة العذاب البدنى فهم أيضا يريدون الخروج منها لشدة العذاب النفسى المتمثل فى الغم **قال تعالى** " كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا " الحج:٢٢.

أشكال العذاب النفسى:

أولا : غضـــب الله.

لا نستطيع أن نتصور أن يكون هناك عذابا يوم القيامة سواء جسدى أو نفسى يعادل العذاب الذى يشعر به الذين غضب الله عليهم وحرمهم من رحمته ورضوانه، فلا يدرك مقدار رضوان الله سبحانه إلا من حرم منه، فغضب الله سبحانه هو أشد أنواع العذاب النفسى على الإطلاق " وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا " الفتح:٦، ويتجلى الشعور بهذا العذاب النفسى فى أوضح صوره عندما يرى ويعرف الذين غضب الله عليهم، مقدار رضوان الله ورحمته التى ينعم بها الذين آمنوا وعملوا الصالحات، عندئذ يدرك المنافقون والكافرون والمشركون فداحة خسارتهم، وعندما يصبح كلام الله عز وجل والنظر إليه سبحانه أفضل النعم التى ينعم بها سبحانه على المؤمنين سوف يحرم أصـــحاب النار من ذلك، وحســبك بصدود الله عن خلقه عقابا وعذابا "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " البقرة:١٧٤**وقال تعالى** عن حال الكافرين يوم القيامة" كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ " المطففين: ١٥.

ثانيا : لعنة الله.

اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ويأتى بعد غضب من الله حيث يحرم أهل النار من رحمة الله سبحانه التى وسعت كل شئ وما أقسى هذا العذاب النفسى الذى يشعرون به وهم فى النار يعذبون ولا أمل لهم حتى فى تخفيف العذاب وفى نفس الوقت يرون آثار رحمة الله علـــى عباده وهم فى الجنة يتنعمون. وتنصب اللعنات على أهل النار يوم القيامة أينمـــا ذهبـــوا فـــالله سبحانه يلعنهم وتلعنهم الملائكة ويلعنهم الناس جميعا سواء من المـــؤمنين أو الكـــافرين **قال تعالى** "أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ " البقرة: ١٥٩ .

وقال تعالى " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ البقرة:١٦١، ويصل الأمر بأهل جهنم درجة أنهم يلعنون بعضهم بعضا، فكل

أمة تدخل النار تلعن الأمة التى سبقتها، **قال تعالى** " كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا " الأعراف:٣٨.

ثالثا : الشعور بالذل والمهانة.

تغشى أهل النار ذله وهوانا تسود منها الوجوه " وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ " يونس:٢٧. تبدأ معاناة أصحاب النار من الذل والمهانة مع بداية البعث والخروج من القبور، حيث ينعكس هذا الشعور على وجوههم **قال تعالى** "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾" المعارج:٤٣-٤٤ ويظل هذا الشعور يلازمهم طوال يوم الحساب، فعندما يعرضون على النار يلفهم الذل والهوان، وهم يسارقون النظر إليها خوفا وفزعا **قال تعالى** " وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ" الشورى:٤٥ ويصبح الذل والهوان شق من العذاب الذى يقاسى منه الذين أجرموا **قال تعالى** " سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ " الأنعام:١٢٤.

رابعا : الشعور بالندم.

معاناة المجرمين من الندم تبدأ مع الموت، وتظل تلازمهم إلى الأبد، فعندما يتيقن الكافر من الموت ويرى ملائكة الموت وهم مقبلون عليه بالعذاب يندم ويتحسر ويطلب العودة للحياة مرة أخرى لكى يؤمن بالله سبحانه ويلتزم بأوامره ونواهيه **قال تعالى** " حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ " المؤمنون:٩٩-١٠٠. ويتضح الشعور بالندم فى أجل صوره عندما يعض الظالم على يديه حسرة وأسفا يوم القيامة لأنه فرط فى جنب الله وسلك سبيلا غير سبيل رسل الله. **قال تعالى** " وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾" الفرقان:٢٧-٢٩ .

وتستمر المعاناة بالندم أثناء الحساب، حيث يتمنى كل من أوتى كتابه بشماله أنه لم يؤت كتابه وأنه لم يبعث قط للحساب " وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ " الحاقة:٢٥-٢٧ ويدفع شعور الكافر بالندم إلى أنه يتمنى أن لو كان ترابا، فلم يخلق ولم يكلف **قال تعالى** "يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا " النبأ:٤٠، ولا يمكن لأحد أن يتصور مقدار الندم الذى يعانى منه الذين كفروا عندما يوقفهم الحق سبحانه على النار التى أنكروها فى الحياة الدنيا ليشاهدوا تفاصيل ما ينتظرهم من أنواع العذاب الرهيب **قال تعالى** " وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ " الأنعام:٢٧ ويشتد بالكافرين الندم كلما أشتد بهم العذاب فعندما تقلب وجوههم فى جهنم كاللحم يشوى بالنار، يتمنى كل منهم أنه لو أطاع الله والرسول فى الحياة الدنيا "يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ " الأحزاب:٦٦ ويتعالى صياح وصراخ الكافرين فى النار نادمين يريدون الخروج من النار " وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ " فاطر:٣٧، وهكذا يستمر الشعور بالندم إلى ما لا نهاية.

خامساً : الشعور بالكمد والغم.

حالة الغم والحزن الشديد الذى يعانى منه أصحاب النار يوم القيامة تنعكس على وجوههم فتزرق **قال تعالى** " يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا " طه:١٠٢وعلى أصواتهم فتأن **قال تعالى** " لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ " الأنبياء:١٠٠ الزفير هو الأنين الذى يخرج من القلب المغموم المحزون، **وقال تعالى** " فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ " هود:١٠٦. ويبلغ الغم بأصحاب النار منتهاه ويصل إلى درجة لا يمكن تحمله، وتصور لهم عقولهم القاصرة إمكانية الخروج من النار ولكن أين المفر **قال تعالى** " كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ" الحج:٢٢ والله جل شأنه هو الذى يعرف مقدار الحزن والغم الشديد الذى يعانى منه أصحاب النار وهم يرون أهل الجنة فى الخيرات متنعمين وهم فى عذابهم مخلدين، وإذا سألوهم الشىء "قليل من الماء والزاد يأتيهم جواب لا يصبرهم أو يواسيهم أو حتى يعطيهم الأمل فى أنهم

سوف يحصلون على الماء فى المستقبل، بل جواب يزيدهم غما على غم، **قال تعالى** " وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ " الأعراف:٥٠.

سادسا : التشهير والفضيحة.

يصل التشهير بالكافرين مداه عندما يكشف الحق سبحانه الناس- يوم الحساب - أمام بعضهم البعض، وأمام أنفسهم، ويظهر الحق ما كان خافيا منهم، ويعلن الأشهاد - وهم الملائكة التى كانت تلازمهم فى الحياة الدنيا، والأنبياء الذين بلغوهم منهج الله، وأيضا المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم - أن هؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وأنكروا الرسالة والرسول قد بلغوا المنهج، وبلغوا أيضا أن إنكار هذا المنهج وإنكار هذا الرسول هو الجريمة الكبرى وأن عقوبة هذا الإنكار هى الخلود فى النار ومادامو قد كذبوا على الله فإنهم يستحقون اللعنة والطرد من رحمة الله **قال تعالى** " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ " هود:١٨ كذلك يعانى كل من سرق واستولى على أشياء ليس من حقه من الشعور بالفضيحة عندما يأتى وهو يحملها على ظهره أمام جميع الخلائق **قال تعالى** " وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " آل عمران:١٦١ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: (قام فينا النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. وعلى رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئا،(قد أبلغتك) [٨]. وكذلك يشعر بالفضيحة كل من منع أداء الزكاة ففى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول: قال النبى صلى الله عليه وسلم (تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها، تطأه بأخفافها. وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها. قال من حقها أن تحلب على الماء ولا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك شيئا، قد بلغت. ولا يأتى ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك شيئا، قد بلغت) [٩].

سابعا : الشعور بالحسرة.

الحسرة هى الندم الشديد الذى يصيب النفس الإنسانية حينما يفوتها خير لا يمكن تداركه وأيضا حينما تلقى شيئا لا تستطيع دفعه، وشعور المجرمين بالحسرة يبدأ مع البعث " قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ " الأنعام:٣١ ويظل يلازمهم حتى يدخلون النار، ويرون الآلهة التى عبدوها فى الدنيا وكانوا يرجون أن تدافع عنهم هى مصدر عذابهم "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ" الأنبياء:٩٨ وقال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل أحد الجنة إلا أورى مقعده من النار لو ساء ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة) [١٠].

ثامنا : الشعور بالخجل.

يا ترى كم هو مقدار الخجل الذى يعانى منه هؤلاء المجرمون عندما يقفون مطرقوا رءوسهم أمام الله سبحانه وتعالى يطلبون العودة إلى الدنيا مرة أخرى لكى يستدركوا ما فاتهم ويعملوا الصالحات **قال تعالى** " وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ " السجدة: ١٢.

تاسعاً : الشعور باليأس.

ولأن رؤية أصحاب جهنم لمكان خال من النار قد توحي بالأمل فى الخروج لذلك تحيط النار بأهلها إحاطة تامة حيث لا يمتد بصرهم إلى أى مكان خال من النار ليزدادوا يأسا على يأس **قال تعالى** "إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا" الكهف:٢٩ ومن شدة العذاب السرمدى الذى لا ينتهى، ولا يخفف ولو لحظة واحدة، وفى غياب الأمل من الخروج من النار، ييأس المجرمون أصحاب النار لدرجة أنهم يسألون الله أن يميتهم ليستريحوا مما هم فيه ولكن يأتيهم الرد ليزيدهم يأسا " إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ " الزخرف:٧٤ – ٧٧.

ويعانى أصحاب النار من اليأس ولكن من نوع آخر ألا وهو اليأس بعد الأطماع، فنظرا لأن استدامة العذاب واستمراره يجعل أهل النار يألفونه، فإذا خبت النار أو هدأت فترة فأنهم يظنون أن المسألة انتهت، فإذا بالعذاب يفاجئهم من جديد، وهذا أنكى لهم وآلم فى تعذيبهم. **قال تعالى** " كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا " الإسراء:٩٧.

عاشرا: الشعور بالمهانة والتحقير.

يتجلى التحقير بالمجرمين فى أبشع صوره:

- عندما تسوقهم الملائكة فى ذلة ومهانة إلى جهنم كما تساق البهائم العطاش إلى الماء **قال تعالى** " وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا " مريم: ٨٦.

- وحين يلقى بهم فى النار على وجوههم **قال تعالى** " وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ" النمل:٩٠.

- وعندما يدخلون النار فى ذل وإهانة " إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " غافر:٦٠، **وقال تعالى** " مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا " الإسراء:١٨ أى جعلنا له فى الآخرة جهنم يدخلها مهانا حقيرا مطرودا من رحمة الله.

- وفى الطريقة التى يعذبون، حين يسحبون على وجوههم فى النـــار **قال تعالى** " إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ " القمر:٤٧- ٤٨.

حادى عشر : الشعور باللوم.

يعانى أصحاب النار من الشعور باللوم الذى يأتيهم من جميع المخلوقات، ومن أنفسهم أيضا على ما قدمت أيديهم **قال تعالى** " وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا " الإسراء: ٣٩.

ثانى عشر: الشعور بالعزلة وضيق المكان.

حيث يكون أصحاب النار فى نهاية الأمر مقيدين بالسلاسل ومحبوسين، يعانون من الشعور بالعزلة وضيق المكان **قال تعالى** "وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟

هُنَالِكَ ثُبُورًا " الفرقان:١٣. وهم لا يرون، ولا يتكلمون، ولا يسمعون **قال تعالى** " وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا " الإسراء:٩٧ وهكذا يحيا أهل النار فى غيظ أحمق، تغلى صدورهم تماما كما تغلى بطونهم .

ثالث عشر : التهكم والسخرية.

لا نجد سخرية أنكى من السخرية التى يتعرض لها أصحاب النار عندما يشتد بهم العطش ويطلبون الغوث بماء بارد يخفف عنهم آلم النار، فإذا بهم يغاثوا بماء شديد الحرارة يشوى وجوههم قبل أن يدخل بطونهم، وهكذا يزدادون حرارة فوق حرارة النار ويعذبون من حيث ينتظرون الرحمة وهذا قمة الاستهزاء والسخرية بهم **قال تعالى** " وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا" **الكهف:** ٢٩.

العذاب الجسدى:

لن نقف طويلا أمام العذاب الجسدى، فيكفى أن نوضح ما يلى:

الأول: أن أصحاب النار سوف يشاهدون جهنم وما فيها من أنواع العذاب ووسائل التعذيب وكيف سيعذبون فيها قبل أن يدخلوها، وهكذا يجمع الله سبحانه عليهم ألوانا من العذاب، لأن أدركات النفس تتأذى بالمشاهدة قبل أن تتألم الأحاسيس بالعذاب **قال تعالى** " وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا" الكهف:١٠٠ **وقال تعالى** " وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ " الأنعام:٢٧ **وقال تعالى** " وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ " النحل:٨٥.

الثانى: أن أصحاب النار سوف يجدون ألوانا من العذاب، وأنواعا من العقوبات لم تكن فى حسابهم ولم تخطر لهم على بال مصداقا **لقوله تعالى** " وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ " الزمر:٤٧.

الثالث: أنهم سوف يتذوقون العذاب، لأن الإذاقة أشد الأدركات تأثيرا، والحق حين يريد شمول العذاب للجسم يجعل لكل عضو فى الجسم حساسية الذوق كالتى فى اللسان مصداقا **لقوله تعالى**" فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ " الأعراف:٣٩ **وقال تعالى** " يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ " القمر: ٤٨.

رابعاً: أن أقل القليل من رائحة عذاب جهنم- مجرد لفح النار- يعيد للظالمين رشدهم ويجعلهم يعترفون بجريمتهم **قال تعالى** "وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ " الأنبياء:٤٦.

وصف عام للعذاب الجسدى:

وفيما يلى وصف عام لبعض من مشاهد تعذيب أصحاب النار كما وردت فى القرآن الكريم:

- بمجرد أن يصدر الحكم على كل من أستحق العذاب، يأمر سبحانه وتعالى زبانية جهنم أن يقيدوا يداه مع عنقه، وأن يربطوه بالسلاسل ويسحبوه إلى الجحيم "خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾" الحاقة:٣٠-٣٢ وحيثيات الحكم هى " إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ " الحاقة:٣٣-٣٤ أى أنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحث نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء المساكين، مجرد أنه لا يحث فقط فما بالك بتارك الإحسان والصدقة.

- بعد ذلك تأخذ زبانية جهنم المجرمين من مقدم رءوسهم وأرجلهم وتقذف بهم فى النار **قال تعالى** ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ الرحمن:٤١.

- فإذا قذفوا وطرحوا فى جهنم سمعوا للنار صوتا منكرا مرتفعا من شدة اللهب وغيظها منهم **قال تعالى** ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ الملك: ٧ – ٨.

- وتضيق عليهم جهنم حتى يشعر كل منهم وكأنه فى تابوت من نار **قال تعالى** ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ الفرقان: ١٣.

- وتلتصق النار بهم، التصاقا شديدا، وكأنما فصلت لهم ثياب من نار على قدر أجسامهم ويصب فوق رءوسهم الماء المغلى بنار جهنم الذى بلغت حرارته منتهاها فإذا سقط على رءوسهم ذابت جلودهم وذاب ما فى بطونهم من أحشاء، ويضربون بمطارق من حديد ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الحج:١٩-٢١.

- وتقلب وجوههم فى النار كما يشوى اللحم **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ الأحزاب: ٦٦.

- ويسحبون على وجوههم فى النار إذلالا لهم "يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ " القمر: ٤٨.

- ويجرون بالسلاسل تارة إلى الماء الحار المسخن بنار جهنم، وتارة إلى الجحيم حيث يحرقون **قال تعالى** ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ غافر: ٧١- ٧٢ **وقال تعالى** ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ الرحمن ٤٣ – ٤٤.

- ولا يذوقون فى جهنم شيئا ما من برد، ويراد به النسيم الذى يريحهم، وينفس عنهم حر النار، ولا يذوقون شيئا من شراب يروى عطشهم فيها إلا الماء الشديد الحرارة، وما يسيل

من جلود أهل النار من صديد، وقيح **قال تعالى** ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ ﴾ النبأ: ٢٤- ٢٥.

- وتتضخم أجسام أصحاب النار ليزدادوا عذابا فوق العذاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرس الكافر أو- ناب الكافر- مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث) [١١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاث أيام للراكب المسرع)[١٢].

ويكفى لبيان شدتها قوله صلى الله عليه وسلم (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه) [١٣].

- والعذاب فى جهنم دائم متكرر لا ينتهى فإذا احترقت الجلود فأن جلودا أخرى ستأتى ليستمر العذاب **قال تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء:٥٦، ولكن لماذا الجلود؟ من المعروف إن مراكز الإحساس فى الإنسان هى الشعيرات الحسية المنتشرة على الجلد، لذلك فكلما نضجت جلودهم أى احترقت تماما وفقدت القدرة عن الإحساس بالألم آتاهم الله سبحانه جلدا آخر جديدا ليعيد عليهم كرة العذاب من جديد.

- وبالرغم من أن عذاب جهنم بأشكاله وألوانه المتعددة مميت، لكن لن يموت أحد **قال تعالى** ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ إبراهيم:١٧، فقد أراد الله سبحانه لهم حياة دائمة لا موتا فيها فهم يعشون فى مرحلة وحلقة بين الموت والحياة، فلا يموت أحد فيستريح، ولا يحيا حياة سالمة من العذاب **قال تعالى** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ فاطر:٣٦ **وقال تعالى** ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ طه:٧٤.

- وأصحاب النار مشوهوا المنظر عابسوا الوجوه ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ المؤمنون:١٠٤.

- لونهم شديد السواد **قال تعالى** ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ يونس:٢٧.

- ملابسهم من القطران وهى مادة سريعة الاشتعال سوداء اللون نتنة الرائحة **قال تعالى** ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ إبراهيم:٥٠ وكل فرد من أصحاب النار محبوسا فى مكان ضيق فى عزلة تامة لا يرى، ولا يتكلم، ولا يسمع، ولكن يعذب فقط **قال تعالى** ﴿ ... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ الإسراء:٩٧.

- ويظل أهل النار فى مزيد من العذاب إلى الأبد **قال تعالى** ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ:٣٠ وعن عبد الله بن عمر أنه قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه لأن العذاب المزيد يوما فيوما من أشد أنواع العذاب.

العذاب من جنس العمل:

اقتضت عدالة الحق سبحانه أن يكون عذاب أصحاب النار من جنس ما ارتكبوه من ذنب وما يلى بعض الأمثلة القليلة من الكثير التى تبين ذلك:

- فعذاب الذين يخفون ويكتمون ما أنزل الله من الكتاب طمعا فى زخارف الدنيا ومقابل عوض حقير من حطامها أنهم يأكلون نارا تتأجج فى بطونهم، كما يحرمون من رحمة الله ومغفرته **قال تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة:١٧٤ وقال صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) (١٤) .

- وعذاب الذين يأكلون أموال اليتامى بدون حق هو أنهم يأكلون فى بطونهم نارا **قال تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء:١٠.

- وعن عذاب من يغتاب الناس قال صلى الله عليه وسلم (لما عرج بى مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم [وصدورهم] فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم) [١٥] .

- وقال صلى الله عليه وسلم (من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) [١٦] .

- وعذاب من كان يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله أنه يلقى فى النار فتخرج أمعاؤه فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه قال صلى الله عليه وسلم (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه فى النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه) [١٧] . الأقتاب بكسر القاف أى الأمعاء واندلاقها أى خروجها بسرعة.

- وعذاب الذى ينتحر، أنه يظل يقتل نفسه فى نار جهنم بنفس الطريقة التى انتحر بها قال صلى الله عليه وسلم (الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار، والذى يطعنها يطعنها فى النار) [١٨] .

وقال صلى الله عليه وسلم (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا. ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) [١٩] .

- أما عن عذاب من كذب فى حلمه وحدث بحلم لم يره فأنه يعذب فى النار حتى يعقد بين شعيرتين أى يفتل إحداهما بالأخرى وهو مما لا يمكن عادة، وذلك كناية عن دوام التعذيب ومن يستمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب فى أذنه الرصاص الأسود المذاب يوم القيامة. ومن صور صورة عذب يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح، ولكن لا يستطيع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفلح. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب فى أذنه الآنك يوم القيامة. ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ) [٢٠] .

طعام وشراب أهل النار:

أصحاب النار يجوعون ويظمأون **قال سبحانه وتعالى** ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف:٥٠ ولكن طعامهم وشرابهم مصدر عذاب لهم وتوضح لنا آيات القرآن الكريم إن طعام أهل النار مهما أختلف أنواعه فهو كريه غير مستساغ يغص من يأكله ﴿ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ المزمل:١٣.

طعامهم أشكال وأنواع:

- منه الضريع وهو نبات ذو شوك يشبه النبات المعروف عند العرب بالشيرق وهو أخبث الطعام، ليس فيه فائدة، ولا يشبع من يأكله فيظل يأكل منه ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ ﴾ الغاشية:٦-٧.
- ومنه الزقوم، وشجرة الزقوم خلقها الله سبحانه فى جهنم وسماها الشجرة الملعونة، وهى نوع خبيث من الطعام لا يوجد له مثيل، فإذا جاع أهل النار أكلوا منها، حتى تمتلئ بطونهم فإذا هى تغلى فى بطونهم كما يغلى الماء الساخن ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦ ﴾ الدخان:٤٣-٤٦ **وقال تعالى** ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٦٧ ﴾ الصافات: ٦٢- ٦٧.
- ومنه الغسلين وهو صديد أهل النار الذى يسيل من أجسادهم نتيجة التعذيب، وهو طعام خصص للمجرمين الآثمين الخطائين **قال تعالى** ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧ ﴾ الحاقة: ٣٦-٣٧ فالمعذبون أنواع والطعام أشكال فمنهم من يكون طعامه الزقوم، ومنهم طعامه الضريع، ومنهم طعامه الغسلين.

وشراب أصحاب النار أنواع وأشكال أيضا:

- منه الصديد وهو القيح الذى يسيل من أجساد أهل النار حين تشوى جلودهم، وهو سائل شديد المرارة والنتانة، غير مستساغ فيكاد يقف فى الحلق، لذلك فإنهم يتجرعونه أى يبتلعوه جرعة بعد جرعة **قال تعالى** ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ إبراهيم:١٦-١٧.

- ومنه الماء الشديد الحرارة، فعندما يشتد بأصحاب النار العطش يدعون الله أن يغيثهم ويستجيب الله سبحانه لهم ويمدهم بماء شديد الحرارة تبلغ حرارته حرارة النحاس المذاب فإذا قرب منهم شوى وجوههم **قال تعالى** " وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا " الكهف:٢٩.

- وهناك أنواع أخرى من الشراب غير الماء شديد الحرارة والصديد لا يعلمه إلا الله عز وجل **قال تعالى** ﴿ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ ص: ٥٥ – ٥٨.

فى الطريق إلى جهنم

بعد أن تم الحساب والقضاء بين العباد، وعرف كل مخلوق مصيره تسوق الملائكة أصحاب النار إلى جهنم جماعات جماعات كما تساق البهائم العطاش إلى الماء. **قال تعالى** ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ الزمر:٧١. **وقال تعالى** ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ مريم:٨٦ حيث تدفع الملائكة بهم دفعا شديدا **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ الطور:١٣، وقد قيدت أيديهم وغلت إلى أعناقهم بالقيود ولفت السلاسل أجسادهم **قال تعالى** ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝ ﴾ الحاقة: ٣٠-٣٢.

ويحشر الذين كفروا وأنكروا البعث إلى جهنم على وجوههم عميا لا ينطقون ولا يسمعون إمعانا فى تعذيبهم والاستهزاء بهم، ثم يرد الله سبحانه إليهم أسماعهم وأبصارهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم **قال تعالى** ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ الإسراء: ٩٧.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه (أن رجلا قال: يا نبى الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال "أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) [٢١].

وعندما يقترب أصحاب النار من جهنم ويرون ما بها من ألوان العذاب التى لم تخطر ببال أحد **قال تعالى** ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر:٤٧ يحدث العديد من المواقف والحوارات لأصحاب النار سوف نتناول بعض منها بالشرح والتحليل.

مواقف وحوارات على أبواب جهنم

لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه: ١٢٤- ١٢٦.

هناك تواصل بين الحياة الدنيا والآخرة، وما يحدث من مواقف وحوارات فى الآخرة ما هو إلا انعكاس لأفعال العباد فى الحياة الدنيا، فإذا كانت خيرا فخير، وإذا كانت شرا فشر **قال تعالى** ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الطور:١٦، ففى هذا الموقف نرى الذين كفروا وأعرضوا عن أمر الله سبحانه، وما أنزل على الرسل من الشرائع والأحكام وأنكروا البعث فكانوا كما أخبر عنهم القرآن **قال تعالى** ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ الأعراف:١٧٩ وقد حشروا إلى جهنم على وجوههم عميا تحقيقا لوعد الحق لهم **قال تعالى** ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الإسراء:٧٢، أى فمن كان فى الدنيا عماه عمى بصيرة، فعماه فى الآخرة عمى بصر، وعندما يتساءل كل منهم متعجبا: " رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا " أى لماذا يا رب حشرتنى أعمى وقد كنت فى الدنيا بصيرا؟ يأتيه الرد: " كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ " أى قد أتتك آياتنا واضحة جلية فتعاميت عنها وتركتها فكما كنت أعمى عن آياتنا فى الدنيا نجعلك اليوم أعمى، وكذلك تترك اليوم فى العذاب جزاء وفاقا.

بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ

قال تعالى ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٢٢] المرسلات: ٢٩-٣٤.

ها هم الملائكة تسوق الذين كذبوا بالبعث وأنكروا عذاب جهنم وتقول لهم توبيخا واستهزاءا: " ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ " أى سيروا بسرعة إلى عذاب جهنم الذى

كنتم تكذبون به فى الدنيا لقد صورت لهم عقولهم القاصرة أن الله سبحانه وتعالى لا يعذبهم لأنه راض عنهم، ولو لم يكن راضيا عنهم لما بسط لهم فى الرزق، فكما أعطاهم الأموال والأولاد فى الدنيا لا يعذبهم فى الآخرة. إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ سبأ: ٣٥.

وزيادة فى التهكم بهم تقول لهم :

" ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ " أى اذهبوا فاستظلوا بدخان كثيف من جهنم انقسم وتفرق- لعظم شدته- إلى ثلاث شعب، لا يظل ولا يدفع عن أحد ألسنة النار المندلعة، حيث تقذف جهنم بشرر- وهو ما يتطاير من النار متبددا فى كل جهة- يتطاير بسرعة شديدة، كل شرارة فى حجم القصر الضخم.

أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ ؟

قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾ [٢٣] الطور :١١-١٦.

ويقترب الكافرون وقد غلت أيديهم إلى أعناقهم من أبواب جهنم، وكلما ازدادوا قربا منها تباطأت خطواتهم أملا فى تأخير العذاب ولو للحظة واحدة، فاللحظات فى جهنم دهرا، فتدفع الملائكة بهم دفعا شديدا إلى النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

" هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ " أى هذه هى النار التى كنتم تهزءون وتكذبون بها فى الحياة الدنيا. وتقول لهم تقريعا وتوبيخا:

" أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ " أى هل هذا الذى ترونه بأعينكم من العذاب سحر كما كنتم تقولون عن القرآن وما فيه من آيات تحذركم من النار إنه سحر، أم قد عميتم فلا ترون النار، إشارة **قوله سبحانه وتعالى** ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ هود:٧ .

وتقول لهم: " ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ" أى قاسوا شدة نار جهنم جزاء ما اكتسبتموه من سيئات وسواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لن يتغير من الأمر شئ، إذ كل لا يدفع العذاب ولا يخففه، وتنهى الملائكة الحوار فى هذا الموقف بقولها:

" إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " وإنما تلاقون اليوم جزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا من أثام وشرور.

هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ الملك: ٢٧.

فى هذا الموقف نرى فريقا من الكافرين الذين كانوا ينكرون البعث والحساب، ولم يقتصر الأمر على التكذيب بل تصل بهم الغفلة إلى استعجال العذاب استهزاء وتكذيبا ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٥٤.

فعندما يقتربوا من أبواب جهنم، ويروا العذاب الذى ينتظرهم تعلوا وجوههم الكآبة والغم ويقال لهم توبيخا وتبكيتا:

" وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ " أى أليس هذا الذى كنتم تطلبونه وتستعجلونه فى الدنيا فلماذا الحزن إذا ؟

وَقَالُوٓاْ : ءَامَنَّا بِهِۦ

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سبأ: ٥١ – ٥٤.

ينتهى الموقف بالكافرين وهم فى حالة من الفزع والهلع منذ خروجهم من القبور، حيث لا نجاة لهم ولا مهرب، وبمجرد أن يصدر الحكم بإدانتهم، تأخذهم الملائكة من أرض الحشر إلى النار، وعندما يعاينون جهنم يقولون:

" ءَامَنَّا بِهِۦ " أى آمنا بالقرآن وبالرسول ولكن هم الآن فى الآخرة، والإيمان يكون هناك بعيدا فى الحياة الدنيا، ولقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا وأنكروا البعث والحساب، وحيل بينهم وبين دخول الجنة كما فعل بأشباههم فى الكفر من الأمم السابقة فلقد كانوا فى شك وارتياب من أمور الحياة الآخرة. وصدق الحق سبحانه الذى حذرهم أنه لا ينفع الإيمان فى الآخرة **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٨.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ؟

قال تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [٢٤] الزمر: ٧١-٧٢.

يسوق الملائكة الكفرة الفجرة إلى النار جماعات متتالية، كما يساق الأشقياء فى الحياة الدنيا إلى السجون، فإذا وصلوا إليها فتحت جهنم أبوابها لتستقبلهم، ويدور بين خزنة جهنم وبينهم حوار يتساءل فيه حراس جهنم ليس بغرض الاستفهام ولكن بغرض إقامة الحجة عليهم وبيان أن دخولهم النار بسبب كفرهم وعدم إتباع الرسل، فيقولون لهم تقريعا وتوبيخا: " أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا " أى ألم يأتكم رسل من بينكم تعرفونهم جيدا ليبلغوكم الكتب المنزلة من عند الله سبحانه، ويحذروكم ويخوفونكم من أهوال هذا اليوم العصيب؟ فيرد الكفار معترفين بقيام الحجة عليهم:

" بَلَىٰ " أى نعم لقد بلغتنا الرسل آيات ربنا وأنذرونا من يوم الحساب، وفى محاولة لتبرير كفرهم يجادل الكافرون، مدعين أن دخولهم النار تحقيقا لإرادة الله سبحانه، فيجيبون إجابة حق يراد بها باطل:

" وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ " أى نعم لقد أرسل إلينا الرسل ولكن تلك هى إرادة الله، وصدق الله العظيم الذى قال ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا

وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ النحل:١١١، ولأن هذا جدال عقيم لا فائدة منه تقول لهم خزنة جهنم:

" ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ " أى ادخلوا جهنم لتصلوا سعيرها ماكثين فيها أبدا فبئس المقام والمأوى جهنم للمتكبرين عن الإيمان بالله وتصديق رسله.

رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

قال تعالى ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ إبراهيم:٤٤– ٤٥.

يتوسل الظالمون إلى الله سبحانه عندما يأتيهم العذاب الشديد:

" رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ " أى يطلبون من الله سبحانه أن يمهلهم فترة من الزمن لكى يستدركوا ما فاتهم ويؤمنوا بالله ويتبعوا ما جاءت به الرسل. ولكن يقال لهم توبيخا وتبكيتا:

" أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ " أى ألم تحلفوا أنكم خالدون فى الدنيا وأنكرتم البعث والنشور، إشارة إلى **قوله تعالى** ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ النحل: ٣٨.

ويقال لهم: " وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ " أى لم تعتبروا بما حدث للذين سبقوكم من هلاك عندما ظلموا أنفسهم، ولم تعتبروا بالأمثال التى بيناها لكم فى الدنيا.

يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢٥] الإنعام: ٢٧-٢٩.

هناك أحداث لا تقوى العبارات على تصويرها فعندما ننظر إلى قول الحق "وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ" تجد الجواب محذوفا ليطلق كل منا العنان لخياله ليتصور تفاصيل هذا الموقف الشديد والعصيب فعندما يقف الذين كفروا على النار التى أنكروها فى الحياة الدنيا ليشاهدوا تفاصيل ما ينتظرهم من أنواع العذاب الرهيب، يتوسلون إلى الله قائلين:

" يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ "إنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا، مع وعد بعدم التكذيب بآيات الله، والإيمان بالله ورسله. وصدق الله العظيم عندما أخبرنا فى كتابه أنه سيأتى وقت ويتمنى فيه الكافرون لو كانوا مسلمين **قال تعالى** ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ الحجر:٢.

ويعقب الله سبحانه على قولهم:

" بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ " أى أنهم لجئوا إلى هذا القول من فرط الخوف مما أعده الله لهم بعد أن ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفونه فى الدنيا من قبائح الأعمال.

ويجيب الله سبحانه وتعالى على تمنيهم المغلف بالذلة والمسكنة:

" وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ " أى لو ردوا إلى الدنيا على سبيل الفرض لعادوا إلى الكفر والضلال وإنهم لكاذبون فى وعدهم بالإيمان، وسيفعلون مثلما فعلوا وسيقولون مثل ما قالوا من قبل " إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ".

أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ؟

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ **الأنعام: ٣٠.**

فى الموقف السابق قد أصاب الكفار الرعب وتمنوا العودة للحياة الدنيا، لما شاهدوه عندما وقفوا على النار، وإذا كان الحق قد حذف من قبل الجواب عندما أوقفهم على النار، فالأولى هنا عندما يقفون أمام الله سبحانه أن يحذف الجواب، حتى يترك للخيال أن يتصور ما فى هذا الموقف من أهوال.

فحين يقف الكافرون أمام الله سبحانه وهم فى غاية الفزع يسألهم سبحانه وتعالى:

" أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ؟ " أى أليس هذا البعث والحساب بحق؟ وفى هذا تبكيت وتقريع فهم الذين كذبوا بآيات الله، وقالوا عن القرآن أنه أساطير الأولين، وأنكروا البعث والحساب وسبحانه لا يستفهم منهم ولكنه يقرر، وقد شاء أن يكون الإقرار منهم.

فأجابوا مقسمين بالرب جل وعلا:

" بَلَىٰ وَرَبِّنَا " أى أنه حق لأن الأمر لا يحتاج إلى مكابرة. بعد هذا الاعتراف الصريح منهم يصدر حكم الحق سبحانه: " فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ " أى فذوقوا عذاب جهنم بسبب كفركم.

هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ؟

قال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ **الشورى: ٤٤-٤٦.**

عندما يقترب الظالمون من النار، ويشاهدون ما بها من عذاب يتساءلون نادمين:

" هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ؟ " أى هل من وسيلة تعيدهم إلى الحياة الدنيا، لكى يتداركوا ما فاتهم ويعملون بطاعة الله عز وجل، ولكن ما من مجيب؟، وها هم يقتربون أكثر وأكثر من

النار، وكأن النار تستعرضهم فيمرون أمامها جماعات جماعات ليروا كيف وبأى وسيلة سيعذبون، فلا يستطيعون إدامة النظر إليها لما فيها من أهوال، ولكن ينظرون نظرات خاطفة فقط خوفا وفزعا وهم فى حالة من الذل والهوان، وعندما يرى المؤمنون من أهل الجنة ما أحل بالظالمين وما انتهى إليه أمرهم، يقولون:

" إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ " أى لقد خسروا أنفسهم لأنهم فى العذاب مخلدون، وخسروا أهليهم، لأن الأهل إن كانوا فى النار فلا ينتفع بهم، وإن كانوا فى الجنة فقد حيل بينهم، ألا إن الظالمين فى عذاب دائم لا ينقطع.

وبضيف أهل الجنة:

" وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ " أى وما كان لهم من أعوان وأنصار ينصرونهم من عذاب الله كما كانوا يرجون ذلك فى الحياة الدنيا.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ **الأحقاف: ٢٠.**

عندما يقف الكافرون أمام النار لتستعرضهم كأنهم فى طابور عرض، وهم يتطلعون بخوف وهلع إلى ما فيها من أنواع وأصناف العذاب التى لم يحتسبوها، يقال لهم:

" أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا " أى أنكم أفنيتم حياتكم فى الكفر والمعاصى وشغلتكم شهوات الدنيا ولذائذها عن الإيمان والطاعة، وآثرتم الفانى على الباقى رغم تحذير الحق سبحانه لكم ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الحجر:٣، فلم يبق لكم بعد ذلك شئ من نعيم الآخرة، ثم يوضح سبحانه وتعالى الجزاء على هذا: " فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

تَفْسُقُونَ " أى أنهم فى هذا اليوم ينالون عذاب الذل والهوان بسبب استكبارهم فى الدنيا وبعدهم عن الإيمان بالله، وارتكابهم للآثام.

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ **الأحقاف:٣٤.**

واستكمالا لمشهد عرض الذين كفروا على النار السابق، يقول سبحانه وتعالى لهم:

" أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ؟ " أى أليست هذه النار حق، أليس هذا العذاب حق؟ والمقصود بالسؤال التوبيخ والاستهزاء بهم.

يا ترى ماذا يكون جوابهم لقد أنكروه فى الحياة الدنيا ولكن الآن قد أبصروه وتحقق وعد الله لهم. فليس أمامهم إلا الاعتراف بالحقيقة، فقالوا فى استسلام وتخاذل: " بَلَىٰ وَرَبِّنَا" وأكدوا اعترافهم بالقسم بصفة الربوبية طمعا فى النجاة، ولكن هيهات.. هيهات، وبعد ذلك يصدر الحكم عليهم:

" فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ " أى ذوقوا العذاب الأليم بسبب كفركم، ويتحقق وعد الحق سبحانه لهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ **النساء:٥٦.**

لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **التحريم: ٧.**

بالرغم من أن الله سبحانه قد حذر الذين كفروا بأنه سبحانه لن يقبل منهم اعتذار عن كفرهم يوم الحساب ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ **غافر:٥٢ وقال تعالى** ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ **الروم:٥٧** إلا أنه عندما يجتمع الكفار عند أبواب جهنم، وهم آسفون نادمون تعلو وجوههم الكآبة والحزن والفزع، يعتذرون لله عز وجل عن كفرهم وإجرامهم، ولكن الله سبحانه وتعالى ينهيهم عن الاعتذار:

" لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ " أى لن يقبل اليوم اعتذار من أحد، فلا ينفع المرء اليوم إلا ما قدمت يداه. فيأتى هذا النهى ليزيدهم يأسا على يأس. ويوضح الحق سبحانه السبب فى النهى عن الاعتذار:

" إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "أى اليوم تعاقبون على الكفر والمعاصى التى اقترفتموها فى الدنيا بعد ما نهيتم عنها.

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝ ﴾ **هود: ٩٦-٩٩.**

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر:٤٦.

نظرا لعظم جرم فرعون الذى أدعى الألوهية، نجد أن الله عز وجل قد جعل له ولقومه موقفا خاصا وهم فى طريقهم إلى النار، حيث يشاهد فرعون وهو يتقدم قومه كما كان يتقدمهم فى الدنيا ومن ورائه الذين أطاعوه وعصوا أمر الله، والملائكة تدفعه هو وقومه دفعا شديدا وتسوقهم جميعا إلى جهنم كما تساق البهائم العطاش إلى الماء، وقد قيدت أيديهم وغلت إلى أعناقهم بالقيود ولفت السلاسل أجسادهم حتى أدخلهم نار جهنم، فبئس الموضع الذى يرده الإنسان فيلاقى فيه العذاب الأليم، تصاحبهم يوم القيامة اللعنات، كما كانت تصاحبهم فى الدنيا ويقول سبحانه وتعالى للملائكة:

" أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ " أى أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم حيث يعاقبون بأشد أنواع العذاب، فسرعان ما تستجيب خزنة جهنم لأمر الله سبحانه وتقذف بهم فى النار مبتدئة بفرعون.

ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ

قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ التحريم: ١٠.

وأيضا هذا الموقف خاص بكل من امرأة نوح وامرأة لوط وهن أمام جهنم، فبرغم من كونهن فى عصمة نبيين عظيمى القدر، إلا أنهما كفرا، فلم يغن الرسولان الكريمان عن المرأتين بحق ما بينهما من صلة الزواج من عذاب الله وتدفعهما خزنة جهنم قائلين: " ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ " أى ادخلا النار مع سائر الداخلين من الكفرة والمجرمين الذين لا صلة بينهم وبين الأنبياء.

obeikandl.com

الدخول إلى النار:

اقتضت إرادة الله سبحانه أن ما من أحد سواء مؤمن أو كافر إلا وسيرد على النار المؤمن للعبور وليعرف فضل الله عليه لأنه أنجاه منها، والكافر للقرار فيها إلى الأبد **قال تعالى** ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم:٧١ -٧٢.

(أختلف العلماء فى المراد بورود النار على أقوال الأول: أن المراد بالورود الدخول، ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول. الثاني: أن المراد بورود النار المذكور هو الجواز على الصراط، لأنه جسر منصوب على متن جهنم. الثالث: أن الورود المذكور هو الأشراف عليها والقرب منها. الرابع: أن حظ المؤمنين من هذا الورود هو حر الحمى فى الدنيا)[٢٦] .

والدخول إلى جهنم يتم وفق نظام صارم مثله مثل جميع مواقف اليوم الآخر، فالآمم الأقدم يقذف بها فى النار أولا ثم التى تليها وهكذا، لأنهم كانوا السبب فى ضلال الآمم التى جاءت بعدها. **قال تعالى** ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٨.

وبذلك يكون المذنبون من أمة الإسلام هم من آخر من يدخل النار، عكس الدخول إلى الجنة، فإننا نجد أن أول الأمم تدخل الجنة هى أمة الإسلام بالرغم من كونها آخر الأمم، أما على مستوى الأمة الواحدة فقادة الكفر والضلال هم أول من يقذف فى النار، فعندما يجتمع أهل النار من الإنس والجن حول جهنم فى جماعات- حيث يتشابه أفراد الجماعة الواحدة فى ما ارتكبوه من جرم- قعودا على الركب من شدة الهول والفزع، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يداهمهم من شدة الأمر، تبدأ الملائكة فى أخذ من هو أعصى لله وأشد إجراما من كل جماعة من الجماعات وتقذف به فى النار **قال تعالى** ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ مريم: ٦٨-٧٠.

فالله سبحانه أعلم بمن هم أحق بدخول النار والاصطلاء بحرها، وبمن يستحق تضعيف العذاب فيبدأ بهم.

عندما يصل أصحاب النار إلى أبواب جهنم المخصصة لكل منهم **قال تعالى** ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ الحجر:٤٤، وقد قيدت أيديهم وغلت إلى أعناقهم بالقيود ولفت السلاسل أجسادهم **قال تعالى** ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ ﴾ الحاقة:٣٠-٣٢ تأخذهم زبانية جهنم- بكل الذل والمهانة-من مقدم رءوسهم وأرجلهم وتقذف بهم فى النار **قال تعالى**﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ ﴾ الرحمن:٤١- ٤٣.

وهم يقولون لهم توبيخا وتأنيبا: هذه جهنم التى أخبرتم بها فكذبتم بها، وأنكرتم وجودها ها هى حاضرة تشاهدونها عيانا وعندما تقذف الملائكة بمن أستحق العذاب فى النار يحدث العديد من المواقف والحوارات نستعرضها بالنص والتفسير.

مواقف وحوارات داخل النار

لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ

قال تعالى ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢٧] ق: ٢١-٢٩.

في هذا الموقف نجد كل نفس وقد أحضرها الملكان الموكلان بها " سَائِقٌ وَشَهِيدٌ "، فيقول الملك الموكل بها: " هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ " أى هذا الذى وكلتنى به قد أحضرته.

فيقول سبحانه وتعالى للملكين: " أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ" أى اقذفا فى النار كل مبالغ فى الكفر، مبالغ فى العناد وترك الانقياد للحق، مبالغ فى منع الخير والبر عن الناس فلا يتصدق ولا يؤدى الواجب عليه فى ماله، معتد ظالم للحق متجاوز له، ظالم غاشم يشك فى الدين " ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ " أى ومشرك بالله ولم يؤمن بوحدانيته " فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ " أى فألقياه فى النار- كرر لفظ فألقياه للتوكيد- فتقذف بهم الملائكة، وهنا يحدث خصام وجدال بين أهل النار، فيتوجه كل من ضل بالاتهام إلى قرينه فى الحياة الدنيا سواء أكان من الإنس أو الجن بأنه السبب فى ضلاله حيث زين له الباطل، فيدفع القرين عن نفسه هذه التهمة فيكفى ما هو فيه من عذاب فيتوجه إلى الله سبحانه قائلا:

" رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ " أى يا ربنا ما أضللته ولكن لقد ضل باختياره وآثر العمى على الهدى من غير إكراه أو إجبار، فيقول عز وجل لهم جميعا منهيا هذا الجدال:

" لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ " أى لا تتخاصموا هنا فلا فائدة من الخصام والجدال، وقد سبق أن أنذرتكم على ألسنة رسلى بعذابى وحذرتكم شديد عقابى فلم تنفعكم الآيات والنذر، ولا يبدل حكمى بعقاب الكفرة المجرمين، ولست ظالما حتى أعذب أحد بدون جرم.

فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ

قال تعالى ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النمل:٩٠.

عندما ترمى زبانية جهنم بالمشركين والكافرين مقلوبين منكوسين على وجوههم فى النار يقال لهم:

" هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " أى هل تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا من سيئات؟

ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ

قال تعالى﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾الزمر: ٢٤.

هذا الموقف أن دل على شئ فإنما يدل على قسوة العذاب الذى يتعرض له أصحاب النار - فمن المعروف أن الوجه أشرف الأعضاء فإذا تعرض الإنسان لأى سوء فإنه يجعل يده وقاية لوجهه- ولكن هنا نجد أصحاب النار إذا ألقوا فى النار وقد غلت أيديهم لم يجدوا شيئا يتقون به عذاب جهنم إلا وجوههم، ويقال لهم: " ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ " أى ذوقوا وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا من المعاصى.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟

قال تعالى ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ ﴾ الملك: ٦-١١.

عندما تقذف الملائكة بالكافرين فى النار جماعات متتالية، ليستقر كل منهم فى الدرك المخصص له نتيجة سوء عمله، يسمعون خلال رحلتهم تلك صوتا فظيعا لجهنم يعبر عن شدة توقدها، وهى تغلي بهم بحيث يكاد أن ينفصل بعضها عن بعض من غيظها وحنقها على أعداء الله، وزيادة فى الحسرة والتوبيخ ليزدادوا عذابا فوق عذابهم، تسألهم الملائكة الموكلة بجهنم: " أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ " وهو سؤال يتكرر لكل فوج. فيجيب الكافرون معترفين:

" بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ " أى نعم جاءنا رسول ينذرنا ويحذرنا من هذا اليوم الرهيب، وتلا علينا آيات الله ولكننا كذبناه وأنكرنا رسالته وما إمعانا فى التكذيب ما أنزل الله من شئ من الوحى على أحد، ويستطرد الكافرون فى الاعتراف:

" إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ " وقلنا لهم ما أنتم يا معشر الرسل إلا فى ضلال كبير ويضيف الكافرون فى أسى وحسرة: " وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" أى لو كنا سمعنا وفكرنا فى كلام الرسل ما كنا اليوم فى أصحاب السعير. بعد هذا الاعتراف يقال لهم:

" فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ " أى فبعدا وهلاكا لأهل النار وصدق الله العظيم الذى قال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الأعراف:١٧٩.

يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ

قال تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ﴾ الذاريات ١٠- ١٤.

ها هم المكذبون بالرسل الغافلون عن أمر الآخرة، الذين كانوا فى الحياة الدنيا يقولون تكذيبا واستهزاء: متى يوم الحساب والجزاء ؟ يدخلون جهنم ملعونين ويحرقون بها، ويقال لهم: " ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ " أى ذوقوا العذاب الأليم الذى كنتم تستعجلونه فى الدنيا.

وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ

قال تعالى ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾[٢٨]

الشعراء: ٩١-١٠٢.

لقد أخبر الحق سبحانه الذين أشركوا أن تلك الأصنام والأوثان التى عبدوها وجعلوها آلهة مع الله من أجل أن تدوم حالة المحبة والألفة بينهم فى الحياة الدنيا باجتماعهم على عبادتها سوف تنقلب هذه المحبة فى الآخرة فتصبح عداوة وبغضاء حيث يتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة **قال تعالى** ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٥.

وها هم عند أبواب جهنم وقد أجتمع أهل الشرك أتباع إبليس من الإنس والجن مع آلهتهم التى عبدوها من دون الله، يتحقق ما أخبر به الحق سبحانه عندما تسألهم الملائكة على سبيل

الاستهزاء والتبكيت ليزدادوا غما على غم: " أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ؟" أى أين هى آلهتكم التى عبدتموها من دون الله، هل يستطيعون أن ينقذونكم اليوم من هذا العذاب أو حتى ينقذون أنفسهم؟ وتقذف الملائكة بهم جميعا فى النار منكبين على وجوههم، وهاهم قد استقروا فى النار، وبدأ الخصام بينهم. فشدة العذاب قد أعادت المشركين إلى رشدهم وزال عنهم الكبر، ونجدهم يتخاصمون فيما بينهم فقال العابدون لمعبوديهم: " تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ " أى نقسم بالله لقد كنا فى ضلال وبعد عن الحق حين عبدناكم مع رب العالمين وجعلناكم مثله فى استحقاق العبادة، وما أضلنا عن الهدى والإيمان إلا المجرمون الذين زينوا لنا الكفر والمعاصى، وعندما يدرك المشركون أنه لا فائدة من توزيع التبعات وإلقاء المسئولية على المجرمين منهم يقولون فى آسى: " فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " أى ليس لنا اليوم من يشفع لنا عند الله ويخلصنا من هذا العذاب، وكذلك ليس لنا صديق خالص الود ينقذنا من عذاب الله، مثلما حدث مع بعض المؤمنين العاصيين حين شفع لهم النبى صلى الله عليه وسلم وإخوانهم فأنقذوهم من النار. ويتمنى كل منهم العودة للدنيا قائلا: " فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ " أى لو أتيحت لنا فرصة العودة إلى الدنيا مرة أخرى فنؤمن بالله ونكون فى زمرة الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ

قال تعالى ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الأعراف: ٣٨ – ٣٩.

فى هذا الموقف يشاهد الكافرون المكذبون بآيات الله على أبواب جهنم وزبانية جهنم تقذف بهم فى النار ويقال لهم: " قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ " أى ادخلوا مع أمثالكم من كفار الأمم الماضية من الجن والإنس فى نار جهنم.

إن الإقتداء بالأمم التى سبقت هو الذى قادهم إلى الكفر، ولقد كانت هذه الأمم فى الدنيا من الولاء بحيث يتبع آخرها أولها، فلننظر اليوم كيف تكون الأحقاد بينهما، فكلما دخلت طائفة منهم النار لعنت التى قبلها، حتى إذ تلاحقوا واجتمعوا كلهم فى النار، بدأ الخصام والجدال قالت أخراهم لأولاهم: " رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ " أى هؤلاء هم يا ربنا الذين أضلونا عن سبيلك وزينوا لنا طاعة الشيطان فأذقهم العذاب مضاعفا، فيأتى رد الحق عليهم: " لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ " أى لكل من الذين أضلوا غيرهم والذين اتبعوهم وقلدوهم عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون. فتقول أولاهم لأخراهم على سبيل التشفى لأنهم دعوا عليهم بمضاعفة العذاب:

" فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ " أى أنتم لستم أفضل منا فنحن متساوون فى الضلال وفى استحقاق العذاب الأليم فذوقوا عذاب جهنم بسبب إجرامكم.

لَا مَرْحَبًا بِهِمْ

قال تعالى ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ ص: ٥٩ – ٦٣.

فى هذا الموقف نتعرف على كيف يستقبل أهل النار بعضهم بعضا باللعنات والشتائم، وماذا يحدث عندما يدخل الكافرون جهنم وقد سبقهم إليها وأستقر فيها زعماء وقادة الكفر الذين أضلوهم، فعندما تقذف زبانية جهنم بجماعة منهم إلى النار تقول لمن سبقوهم:

" هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ " أى هذا جمع كثيف يدخل ويستقر معكم فى النار، كما كان يتبعكم فى الغى والضلال فيقول زعماء وقادة الكفر:

" لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ " أى لا أهلا ولا مرحبا بهم، حيث لا يلقون هنا رحبا ولا خيرا إنهم ذائقو عذاب النار. فيقول الأتباع للرؤساء الذين أضلوهم:

" بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ " أى بل أنتم لا أهلا بكم ولا مرحبا أنتم قدمتم لنا هذا العذاب وكنتم السبب فى ضلالنا فبئس المستقر لنا ولكم نار جهنم.

وهكذا يتلقى أهل النار بعضهم باللعنات والشتائم، ويتوجه الأتباع بالدعاء إلى الله سبحانه:

" رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ" أى يا ربنا ضاعف العذاب للذين كانوا سبب فى دخولنا النار.

ثم ها هم يبحثون عن المؤمنين، الذين كانوا يتعالون عليهم فى الدنيا ويظنون بهم شرا ويسخرون من أمانيهم فى النعيم ويتساءلون فى دهشة: " مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ؟ " أى ما لنا لا نرى فى النار هؤلاء الذين كنا نعدهم فى الدنيا من الأشرار؟ يقصدون الذين آمنوا، ويؤنبون أنفسهم قائلين اجعلنا هؤلاء المؤمنين فى الدنيا هزءا وسخرية أم هم معنا فى النار ولكن لا نراهم.

وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ

قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ غافر: ٤٧-٥٠.

هذا موقف آخر من مواقف الخصام والجدال بين رؤساء الضلال و أتباعهم وقد بلغ بهم العذاب منتهاه حيث يطالب الضعفاء من الذين استكبروا أن يؤدوا لهم دينهم، فيحملوا عنهم نصيبا من العذاب: " إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ؟ " أى أنا كنا لكم فى الدنيا أتباعا ننقاد لكم ونطيعكم فيما كنتم تدعوننا إليه من الكفر والضلال، فهل أنتم دافعون عنا جزءا من هذا العذاب الذى نحن فيه؟. ويضيق الذين استكبروا صدرا بهذا الاستفهام المنطوى على استهزاء بهم، لأنهم يعلمون أن أولئك الرؤساء لا حول لهم ولا قوة فهم عاجزون عن تخفيف العذاب حتى عن أنفسهم، ويرى الذين استكبروا أنهم يتحملون من العذاب أقصاه، فلا مجال لاحتمال قسط آخر فيطلقونها كلمة تضيق بها الصدور ويعقبونها بتسليم

الأمر كله لله، والتخلى عن الصفة التى يطالبهم على أساسها الضعفاء بالاحتمال صفة العلو والاستكبار، فإن هم إلا عبيد كالعباد: " إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ " أى إنا جميعا فى النار، فلو استطعنا دفع العذاب عن أنفسنا لدفعناه عنكم، فقد قضى الله سبحانه وحكم بين العباد قضاء مبرما لا مرد له بدخول المؤمنين الجنة والكافرين النار، فلا نستطيع أن نفعل لكم شيئا. وبالرغم من أن الحق سبحانه قد أخبرهم فى الحياة الدنيا أنهم عندما يشتد بهم العذاب فى جهنم سوف يطلبون تخفيف العذاب فلا يخفف عنهم قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ النحل:٨٥ إلا أن شدة العذاب انستهم هذا فعندما يشتد العذاب بأصحاب النار، وقد يئس أهل النار بعضهم من بعض، فالجئوا إلى زبانية جهنم فى ضراعة يرجونهم: " ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ " أى أدعو الله سبحانه أن يخفف عنا ولو مقدار يوم من العذاب، فأجابتهم الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع: "أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ؟ " أى ألم تأتكم الرسل بالمعجزات الظاهرة فكفرتم بهم وكذبتموهم؟ قالوا : " بَلَىٰ " أى نعم جاءونا .

فقال خزنة جهنم لهم على سبيل الاستهزاء بهم:

" فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ " أى فادعوا الله أنتم فأنا لا نجترئ على ذلك، ثم يصرحون لهم بأنه لا جدوى من دعائهم لأن دعاء الكافرين لا ينفع و لا يجدى، إذ أن الله سبحانه لا يتقبله.

بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا

قال تعالى ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الزمر:٥٥-٥٩.

تتعالى الأصوات فى جهنم، بعض النفوس التى أسرفت فى عصيان الله والاستهزاء بدينه تقول نادمه: " يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ " أى يا ندامتى على تفريطى وتقصيرى فى طاعة الله وأننى كنت من المستهزئين بشريعة الله، والبعض

الآخر يصيح متحسرا: " لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ " أى يتمنى لو كان من عباد الله المحسنين المخلصين، المطيعين لله عز وجل، والبعض الآخر يتمنى العودة للدنيا لكى يستدرك ما فاته: " لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ " أى لو أن لى رجعة إلى الدنيا لأعمل بطاعة الله، ولكن يأتى الرد من الله سبحانه: " بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ " أى لقد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب فكذبت بالآيات واستكبرت عن الإيمان وكنت من الجاحدين.

ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ

قال تعالى ﴿ وَمَن خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون:١٠٣- ١١٥.

فى هذا الموقف نجد الأشقياء الذين زادت سيئاتهم على حسناتهم، فخسروا السعادة الأبدية بتضييع أنفسهم وتدنيسها بالكفر والمعاصى، وهم مقيمون فى جهنم لا يخرجون منها أبدا. وقد احترقوا وتشوهت أجسادهم. ويقول لهم عز وجل تعنيفا وتوبيخا: " أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ "أى ألم تكن آياتى تقرأ عليكم فى الدنيا فكنتم لا تصدقونها وهنا يتوهمون أن الاعتراف قد يجدى فى قبول الرجاء فقالوا: " رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ " أى ربنا غلبت علينا شقاوتنا وكنا ضالين عن طريق الحق والهدى بسبب إتباعنا للملذات والأهواء، وهو اعتراف تبدو فيه المرارة والمهانة. ويندمون على تقصيرهم فى حق الله سبحانه، ويتمنون الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا لاستدراك ما

فاتهم: " رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ " أى ربنا أخرجنا من النار وردنا إلى الدنيا فإن رجعنا إلى الكفر بعد ذلك نكون من الظالمين. فيزجرهم الحق عز وجل زجرا قاسيا عنيفا قائلا لهم:

" ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ " أى اخرسوا، واسكتوا سكوت الأذلاء المهينين ولا تكلمونى فى رفع العذاب والخروج من النار والعودة للدنيا. **ويضيف سبحانه وتعالى:** " إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ " لقد كان فى الحياة الدنيا فريق من عبادى يؤمنون بى، ويطيعون أوامرى، ويرجون رحمتى ويخافون عذابى. ويوضح سبحانه وتعالى موقفهم من الذين آمنوا قائلا: " فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ " أى فلم يكن جرمكم أنكم كفرتم واقتصرتم على أنفسكم، إنما بلغ بكم السفه أن سخرتم واستهزأتم ممن يؤمنون بى، حتى نسيتم بتشاغلكم بهم طاعتى وعبادتى، وكنتم تضحكون منهم فى الدنيا، ويبين الحق سبحانه لهم جزاء عباده المؤمنين ليزدادوا حسرة: " إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ " أى لقد جزيتهم اليوم لصبرهم على أذاكم أحسن الجزاء وأنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم.

وبعد هذا الرد القاسى المهين، وبيان أسبابه وما فيه من تبكيت، يسألهم سبحانه وتعالى للتوبيخ:

" كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ " أى كم من السنين مكثتم فى الدنيا وعمرتم فيها؟ وينسيهم شدة العذاب المدة التى عاشوها فى الدنيا فيقولون: " لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ " أى مكثنا يوما أو أقل من يوم لا ندرى، فما نحن بحاسبين.

قال لهم عز وجل: "إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ " أى ما أقمتم حقا فى الدنيا إلا قليلا، ولو كان لكم علم لعرفتم حقارة الدنيا ومتاعها الزائل، وقلة أيامها بالنسبة لأيام الآخرة، وينتهى هذا الموقف **بقوله تعالى:** " أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ " أى أظننتم أنما خلقناكم باطلا وهملا بلا ثواب ولا عقاب، وأنه لا رجوع لكم إلينا للجزاء؟ فكفرتم وفجرتم، لا ليس الأمر كما تظنون وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة ثم الرجوع إلى دار الجزاء.

أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ؟

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ غافر: ٧٠ – ٧٦.

فى هذا الموقف يشاهد الذين كذبوا بالقرآن وبسائر الكتب والشرائع السماوية، وهم يعذبون فى جهنم وقد غلت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والسلاسل، ويسحبون بتلك السلاسل تارة إلى الحميم أى الماء الشديد الحرارة المسخن بنار جهنم، وتارة إلى النيران المستعرة ويقال لهم تبكيتا:

" أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ؟ " أى أين هى الآلهة التى كنتم تعبدونها وتجعلونها شركاء لله لكى تدفع عنكم هذا العذاب؟ فيبحثون عنهم دون جدوى، فيأتى الرد:

" ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا " أى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ومن شدة حيرتهم واضطرابهم قالوا بل لم نكن نعبد من دون الله شيئا. ثم يوضح عز وجل لهم سبب استحقاقهم العذاب:

" ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ " أى هذا العذاب بسبب ما كنتم تظهرونه فى الدنيا من السرور بالمعصية، وكثرة المال وإنفاقه فى المحرمات، وبسبب بطركم وأشركم وخيلائكم، ثم يقول الحق لهم:

" ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ " أى ظلوا فى جهنم ماكثين فيها أبدا، بئست جهنم مقرا وسكنا للمستكبرين عن آيات الله المعرضين عن دلائل الإيمان والتوحيد.

لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ غافر: ١٠- ١٢.

نجد فى هذا الموقف الذين كفروا يعذبون فى جهنم، وقد جعلهم هذا العذاب العظيم المهين يكرهون أنفسهم كراهية شديدة، وتناديهم الملائكة على سبيل التوبيخ:

" لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ "

أى لبغض الله سبحانه الشديد لكم فى الدنيا حين كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون أعظم من بغضكم اليوم لأنفسكم.

ويتوسل الكفار لله سبحانه قائلين:

" رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ "

آي أمتنا مرتين: الأولى عندما كنا فى العدم والثانية فى الدنيا، وأحييتنا مرتين: الأولى الحياة الدنيا والثانية حياة البعث، ونعترف بما جنيناه من الذنوب والآثام، فهل تخرجنا من النار وتردنا إلى الدنيا لنؤمن ونعمل بطاعتك؟

ويأتى جواب الحق سبحانه عليهم مبينا السبب فى ذلك العذاب، ومتضمنا أنه لا من سبيل للخروج من النار والعودة للدنيا:

" ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ "

أى ذلكم العذاب والخلود فى جهنم بسبب كفركم وعدم إيمانكم بالله، لأنكم كنتم إذا دعيتم إلى التوحيد كفرتم، وإن دعيتم الشرك بالله آمنتم وصدقتم فالقضاء لله وحده، ولا سبيل لنجاتكم لأن الله هو المتعالى على خلقه، العظيم فى ملكه الذى يفعل ما يشاء.

رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ۝٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧ ﴾ فاطر: ٣٦ – ٣٧.

فى هذا الموقف نجد الكافرين وهم فى عذاب دائم مستمر، فلا يموتوا حتى يستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم شئ منه، فلا هذه ولا تلك، حتى الراحة بالموت لا تنال، ونجدهم يتصارخون ويستغيثون بصوت مرتفع معترفون بسوء عملهم نادمون، يرجون من الله سبحانه العودة للحياة الدنيا قائلين:

" رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ " أى أخرجنا من النار وردنا إلى الدنيا لنعمل عملا صالحا يقربنا منك غير الذى كنا نعمل، ونؤمن ونطيع الرسل. فيأتى قوله تعالى ردا عليهم وموبخا لهم: " أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ " أى ألم نترككم فى الدنيا عمرا مديدا يكفى لأن يتذكر فيه من يريد التذكر والتفكر؟، فماذا صنعتم فى هذه المدة التى عشتموها؟، وما لكم تطلبون عمرا أخر؟، وجاءكم الرسول الذى أنذركم يومكم هذا، فذوقوا العذاب، فليس لكم اليوم ناصر ولا معين يدفع عنكم عذاب الله .

وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا

قال تعالى ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ۝١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ۝١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ۝١٤ ﴾ الفرقان ١١-١٤.

فى هذا الموقف يسمع لجهنم أصوات تعبر عن غضبها وغيظها عندما ترى الذين كفروا وكذبوا بيوم القيامة وأنكروا البعث، وقد ربطت أيديهم إلى أعناقهم، والملائكة ترمى بهم فى

النار، حيث تضيق علي كل منهم، ويشتد عليهم العذاب لدرجة أنهم يتمنون الموت باعتباره الحل الوحيد والأمل الباقى للخلاص من هذا الكرب، فيدعون على أنفسهم بالويل والهلاك، فالهلاك اليوم أمنية المتمنى والمنقذ الوحيد للخلاص من هذا الكرب الذى لا يطاق. فيسمعون الرد على دعائهم، يسمعونه تهكما ساخرا مريرا ليزيدهم يأسا على يأس: " لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا " أى لا تدعو اليوم بالهلاك على أنفسكم مرة واحدة بل ادعوا مرات ومرات لأن ما أنتم فيه من العذاب يستحق تكرار الدعاء فى كل وقت، وفى هذا تيئيس لهم من الاستجابة لدعائهم لتخفيف العذاب عنهم.

هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

قال تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا ۖ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾

المطففين: ١٠ – ١٧.

فى هذا الموقف يشاهد الذين كفروا، وكذبوا بيوم القيامة، وقالوا عن آيات القرآن إنها حكايات وخرافات الأوائل، وقد حجبوا عن رحمة الله سبحانه وتعالى، وفى جهنم يقاسون من العذاب الأليم، ويقال لهم على سبيل الاستهزاء والتوبيخ: " هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ " أى هذا العذاب الذى كنتم به تكذبون.

ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ السجدة: ٢٠.

بالرغم من أن أبواب جهنم مغلقة على الفاسقين الذين خرجوا عن طاعة الله وأنكروا عذاب جهنم، وبالرغم من أنهم مقيدون بالسلاسل، إلا أن شدة الألم يدفعهم إلى محاولة الهروب والخروج من النار، ولكن هيهات هيهات فالزبانية لهم بالمرصاد، فكلما حاولوا الخروج تردهم

إلى مكانهم، ليتحقق ما اخبرهم به الحق سبحانه فى الحياة الدنيا عن محاولة الذين كفروا الخروج من النار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ المائدة: ٣٦ – ٣٧.

ويقال لهم تقريعا وتوبيخا: " ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ " أى ذوقوا وقاسوا عذاب النار الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتهزءون منه.

ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ

قال تعالى ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٨١-١٨٢.

يقال لليهود عليهم لعنة الله الذين زعموا أن الله فقير، وكذبوا الرسل وعادوا الأنبياء:

" ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ " أى ذوقوا وقاسوا عذاب النار المحرقة ثم يوضح لهم السبب:" ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ " أى ذلك العذاب بسبب ما اقترفته أيديكم من الجرائم وأنه سبحانه عادل ليس بظالم للخلق.

ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

قال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٤-٥٥.

فى هذا الموقف يشاهد الكافرون وقد أحاط بهم عذاب النار أحاطه تامة من جميع الجهات ويقال لهم: " ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " أى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا من سيئات.

فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا

قال تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ النبأ: ٣٠.

يقال لأهل النار تأييسا وتوبيخا:

" فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " أى قاسوا من أنواع وأصناف العذاب، فلن يخفف عنكم بل سنزيدكم عذابا فوق العذاب.

رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ فصلت: ٢٩.

وإذ أستقر أصحاب النار فى جهنم، تدفع قسوة العذاب وشدته الذين كفروا إلى البحث عن الذين كانوا السبب فى هلاكهم لكى ينتقموا منهم، ويتوجهون بالدعاء إلى الرب عز وجل:

" رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ " أى يطلبون من الله سبحانه وتعالى أن يريهم كل من أغواهم وأضلهم عن طريق الإيمان سواء من الجن أو الإنس، ولكن لماذا يبحثون عنهم ؟ يأتى الجواب فى الشطر الثانى من الدعاء:

" نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ " أى لكى يطأوهم بأقدامهم وينتقمون منهم أشد انتقام.

يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ الأحزاب ٦٤ – ٦٨.

ما أقصى وأفظع من هذا الموقف عندما تقلب وجوه الكافرين فى جهنم كاللحم يشوى بالنار وما الحاجة إلى التقليب فالنار تغشاها من كل جانب، ولكنه مشهد مفزع، فيه العناية بإيصال

النار إلى كل جزء من الجسم، وكأن شدة النار قد أعادت إليهم رشدهم، فيقولون فى لهجة ضراعة ذليلة، وفى نبرة نادمة حسيرة: " يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَاْ " أى يا ليتنا أطعنا الله ورسوله.

وشدة الألم والحسرة تجعلهم يتذكرون الذين أضلوهم وزينوا لهم الباطل والضلال وكانوا السبب فى ما هم فيه من عذاب، ثم ترتفع النبرة البائسة النادمة، فترتد حنقا أليما وسخطا مريرا على أولئك الذين قادوهم إلى هذا المصير فيتوجهون إلى الله سبحانه ليلقوا بالمسئولية على قادتهم قائلين: " رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَاْ " أى أن السبب فى ضلالنا يرجع إلى أننا أطعنا القادة والأشراف فينا فأضلونا طريق الهدى والإيمان، وندرك مدى غيظهم وحنقهم على سادتهم عندما نجدهم يدعون الله سبحانه قائلين: " رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا " أى يرجون من الله سبحانه أن يضاعف العذاب لمن كانوا السبب فى ضلالهم وأن يلعنهم أشد أنواع اللعنات.

كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ

قال تعالى ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾

البقرة: ١٦٦ – ١٦٧.

يدفع العذاب الشديد الذى يعانى منه رؤساء الكفر والضلال بسبب ذنوبهم وذنوب الذين أضلوهم، إلى أن يتبرءوا من الذين اتبعوهم فى الحياة الدنيا، وتتقطع بينهم كل الأواصر التى كانت تجمعهم" إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ". وهنا تبرز أمنية غالية للأتباع فيقولون: " لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا " أى يتمنى الأتباع لو أن لهم رجعة إلى الدنيا ليتبرءوا من هؤلاء الذين أضلوهم السبيل كما تبرأ الرؤساء منهم فى هذا اليوم.

ويأتى التعليق على هذا الموقف:

" كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ " فكما أراهم الحق شدة عذابه، كذلك يريهم أعمالهم القبيحة ندامات شديدة وحسرات تتردد فى صدورهم، وهم فى عذاب سرمدى وشقاء أبدى ليس لهم سبيل إلى الخروج من النار.

وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ

قال تعالى ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ ﴾ الحج: ١٩ – ٢٢.

فى هذا الموقف يشاهد الذين كفروا، وقد أحاطت بهم النار إحاطة الملبس بالجسد، وكأنما فصلت لهم ثياب من نار على قدر أجسامهم، وعندما يصب فوق رءوسهم الماء المغلى بنار جهنم تذوب من شدة حرارته جلودهم و ما فى بطونهم من أمعاء وأحشاء، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل تضربهم زبانية جهنم بمطارق من حديد، وكلما أشتد بهم العذاب المادى والعذاب النفسى حاولوا الهروب والخروج من جهنم، ولكن أين المفر؟ فالزبانية لهم بالمرصاد فتردهم إلى أماكنهم قائلة: " وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ " أى ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذى كنتم به تكذبون .

ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾القمر:٤٧–٤٨.

إن المجرمين فى حيرة وتخبط فى الحياة الدنيا، وفى نيران مستعرة فى الآخرة، وتجرهم الزبانية فى جهنم على وجوههم عقابا وإذلالا لهم. **وتقول لهم:** " ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ " أى ذوقوا أيها المكذبون عذاب جهنم، وقاسوا حرها وألمها.

فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ التوبة: ٣٤ – ٣٥.

هنا نرى الذين كانوا يجمعون الأموال ويدخرون الثروات ولا يؤدون زكاتها ولا ينفقون منها فى سبيل الخير فى الحياة الدنيا، بالرغم من تحذير الحق سبحانه لهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ آل عمران:١٨٠ نراهم وهم يعذبون بهذه الأموال، حيث تعود هذه الأموال إلى قيمتها الحقيقية من الذهب والفضة ويحمى عليها بالنار المستعرة، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم تبكيتا وتقريعا:

" هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ " أى هذا ما كنزتموه لأنفسكم فذوقوا وبال ما كنتم تكنزونه.

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ

قال تعالى ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الدخان: ٤٧ – ٥٠.

فى هذا الموقف يشاهد لون آخر من ألوان العذاب الذى يقع على كل مجرم كافر متكبر حيث يقال للزبانية: "خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ " أى خذوا هذا الفاجر فسوقوه وجروه بشدة وعنف إلى اشد دركات الجحيم عذابا " ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ " أى ثم صبوا فوق رأسه الماء شديد السخونة. ويقال لهذا المجرم على سبيل الاستهزاء والإهانة:

" ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ " أى ذق هذا العذاب يا من كنت معززا مكرما فى الدنيا بمالك وسلطانك ويقال للذين كانوا يشكون فى البعث والعذاب: " إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ " أى أن هذا العذاب هو ما كنتم تشكون به فى الحياة الدنيا فذوقوه اليوم.

فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إبراهيم: ٢٢.

وفى هذا الموقف وقد وصلت الأمور إلى نهايتها واستقر أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار، أخذ أصحاب النار فى لوم إبليس باعتباره السبب فيما يعانونه من عذاب. يبدأ إبليس فى الدفاع عن نفسه قائلا: " إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ " أى أن الله سبحانه وتعالى وعدكم وعدا حقا على ألسنة رسله أن يبعثكم ويحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم، بإثابة المطيع وعقاب العاصى فوفى لكم وعده، أما أنا فوعدتكم أنه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب فكذبتكم وأخلفتكم الوعد، وأخذت أزين لكم المعاصى وأعطيكم الأمل الكاذب فى أنكم ستفلتون من عقاب الله أو سيكون العذاب يسيرا، ويضيف إبليس- ليزيدهم حسرة إلى حسرتهم - قائلا:

" وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي " أى لم يكن لى قدرة وتسلط وقهر عليكم فأجبركم على الكفر والمعاصى، إلا دعائى إياكم إلى الضلالة بالوسوسة والتزين فاستجبتم لى باختياركم، وأسرعتم إلى إجابتى تلبية لشهواتكم وإشباع نزواتكم ويواصل إبليس دفاعه قائلا:

" فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم " أى لا توجهوا إلى اللوم على ما أنتهى أمركم إليه من عذاب النار، بل وجهوه لأنفسكم فإن الذنب ذنبكم، ويضيف إبليس قائلا لهم:

" مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ " إنني لا أستطيع أن أنجيكم من العذاب ولا أنتم تستطيعون أن تنجونى من الخلود فى النار. وينهى إبليس دفاعه معلنا براءته من إشراكهم إياه:

" إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "

أى إننى برئت من إشراككم إياى لى مع الله فى الدنيا، حيث أطعتمونى فى الشر حين استسلمتم لغوايتى كما يطاع الله فى الخير، ويضيف: إن الظالمين لهم عذاب أليم، وبهذا سجل إبليس اعترافه على نفسه وعلى أتباعه بأنهم ظالمون فيما أحدثوه من الضلال والإضلال وأنهم مستحقون بسبب ذلك العذاب الأليم.

أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ

قال تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ **الأعراف: ٥٠.**

ماذا يفعل أصحاب النار وقد أشتد بهم العطش واشتاقوا للماء من قسوة العذاب؟ وما هو الحل فى أنهم كلما طلبوا الماء تأتيهم الملائكة بماء شديد السخونة **قال تعالى** ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ **الكهف:٢٩** إنهم يعلمون بمقدار النعيم الذى يتمتع به أصحاب الجنة فلماذا لا يحاولون طلب الماء من أصحاب الجنة فيستغيثوا بهم قائلين: " أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ " أى أغيثونا بشىء من الماء أو مما رزقكم الله فقد قتلنا العطش، فيأتى رد أصحاب الجنة ليعكس مكارم أخلاقهم: " إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ " أى منع شراب الجنة وطعامها عن الكافرين، ولا يعلم أحد إلا الله سبحانه مقدار عذاب الكافرين المادى والمعنوى فى تلك اللحظات.

يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ **الزخرف:٧٤-٧٧.**

هاهم أصحاب النار وقد طال عليهم عذاب جهنم الذى لا يخفف عنهم ولو لحظة ولحدة وقد يئسوا من كل خير، فلم تنفعهم آلهتهم التى عبدوها من دون الله، ولا أمل لهم فى الخروج من النار، وبالرغم من العذاب المميت إلا أنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، فماذا يفعلون حتى يستريحوا من هذا العذاب؟ لقد أصبح الموت أمنية لهم وخلاصا من هذا العذاب، فنادوا مالك خازن النار قائلين: " يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ " أى ليميتنا الله حتى نستريح مما نحن فيه . فأجابهم مالك إجابة تزيدهم يأسا على يأس: " إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ " أي إنكم مقيمون فى هذا العذاب أبدا لا خلاص لكم منه لا بموت ولا بغيره.

هَلْ مِن مَّزِيدٍ

قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق: ٣٠ .

بعد أن يدخل جميع من أستحق العذاب جهنم **يقول سبحانه وتعالى لها:**"هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ؟ " ولأن جهنم تطيع الله سبحانه وتعالى فى تعذيبها لأصحاب النار تقول : "هَلْ مِن مَّزِيدٍ " أى هل هناك من زيادة؟ قال صلى الله عليه وسلم (لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض) [٢٩]. وليس المراد بقدم الله حقيقة، فأنه تعالى ليس كمثله شئ، ولكنه كناية عن أن النار ذليلة لأمره، وقيل: وضع القدم مثل للردع والقمع، فكأنه قيل: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد. وقال ابن الأثير: قدمه أى الذين قدمهم لها من شرار خلقه. والله اعلم.

حوارات مع أصحاب النار وردت فى الأحاديث النبوية:

وقال صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما فى الأرض من شيء أكنت تفتدى به؟ فيقول: نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى) [٣٠].

وقال صلى الله عليه وسلم (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك من شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط)[٣١].

الخلود فى النار:

ينقسم أصحاب النار سواء أكانوا من الإنس أو الجن إلى قسمين:

القسم الأول آمن بالله ورسله ولكن غلبته شهواته، وفرط فى طاعة الله فعصى الله وأرتكب السيئات، فمنهم من قتل، ومنهم من زنى، ومنهم من سرق، وغيرها من الكبائر، ومات قبل أن يتوب ويرجع إلى الله الغفور الرحيم، هذا القسم يدخل النار ويظل فيها فترة تطول أو تقصر على قدر سيئاته ثم يخرجه الله سبحانه من النار إلى الجنة.

والقسم الثانى من كفر بالله، أو نافق فهؤلاء فى النار خالدين فيها أبدا.

على ذلك فالمؤمن العاصى لا يخلد فى النار أبد بل يبقى فى النار مدة بقدر سيئاته، أى أن خلوده فى النار من البداية مؤقت، حيث تدركه مشيئة الله عز وجل فتخرجه من النار إلى الجنة أما الكافر والمنافق فهما خالدان فى النار لا يخرجان منها أبدا **قال تعالى** ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ هود: ١٠٦-١٠٧.

يقول الأمام النووى "مذهب أهل السنة بأجمعهم أن أهل الذنوب فى المشيئة، وإن من مات موقنا بالشهادتين يدخل الجنة، فإن كان دينا أو سليما من المعاصى دخل الجنة برحمة الله وحرم على النار. وإن كان من المخلطين بتضيع الأوامر أو بعضها وارتكاب النواهى أو بعضها ومات من غير توبة، فهو فى خطر المشيئة، وهو بصدد أن يمضى عليه الوعيد إلا أن يشاء الله أن يعفوا عنه، فإن شاء أن يعذبه فمصيره إلى الجنة بالشفاعة "[٣٢] .

ولقد وصف الحق سبحانه وتعالى المكث فى النار مرة **بقوله** ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ آل عمران:٨٨، وأخرى **بقوله** ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ النساء:١٦٩، ولبيان ذلك يقول الشيخ الشعراوى "هذا القول يدل على أن لفظ التأبيد فى "أبدا" فيه ملحظ يزيد عن معنى الخلود دون تأبيد. وإذا اتحد القولان فى أن الخلود على إطلاقه يفيد التأبيد، وأن " خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا " تفيد التأبيد أيضا، فمعنى ذلك أن اللفظ " أَبَدًا " لم يأت بشىء زائد والقرآن كلام الله، وكلام الله منزه عن العبث أو التكرار. إذن لا بد من وقفة تفيد أن الخلود هو المكث طويلا، وأن الخلود أبدا هو

المكث طويلا طولا لا ينتهى. وعلى ذلك يكون لنا فهم، فكل لفظ فى القرآن محكم وله معنى، ثم أن كلمة "خَـٰلِدِين " حين وردت فى القرآن فإننا نجد الحق سبحانه وتعالى يقول فى خلود النار: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ هود:١٠٥- ١٠٧. فكأن الحق سبحانه وتعالى أستثنى من الخلود" إلا ما شاء ربك "والاستثناء لابد له من زمن، فلا نأخذ الخلود بمعنى التأبيد ولكن الخلود هو زمن طويل " [٣٣].

ويضيف الشيخ الشعراوى "لم يقل الحق بالخلود فى النار أبدا إلا فى ثلاث آيات فقط فى القرآن الكريم **قال تعالى** ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ النساء:١٦٩ **وقال تعالى** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الأحزاب:٦٤-٦٥، **قال تعالى** ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ الجن:٢٣، ولكنه ذكر الخلود فى الجنة أبدا مرات كثيرة. ونقول إن الجنة هى بشرى النعيم للمؤمنين. ويريد الحق سبحانه وتعالى أن يؤنس خلقه بالنعيم الذى ينتظرهم، ولكن بالنسبة للنار فهى دار عذاب، وتأبى رحمة الله وهو الخالق الرحيم بعباده ألا يذكر الخلود فى النار متبوعا بكلمة أبدا إلا فى ثلاث آيات حتى لا يظن الكفار أن الله سبحانه وتعالى بقوله "خالدين" دون ذكر الأبدية أنه خلود مؤقت فى النار لذلك يذكرهم بأنه خلود أبدى. وفى نفس الوقت تأبى رحمته سبحانه وتعالى أن يكون ذلك فى كل آية تذكر فيها النار، حتى يفتح طريق التوبة والرحمة لكل عاص، عله يتوب ويرجع إلى الله" [٣٤].

فيما يلى طائفة من الأحاديث التى تثبت ذلك:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون فى نهر الحيا- أو الحياة، شك مالك- فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل، ألم ترى إنها تخرج صفراء ملتوية؟) [٣٥] .

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن بره من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير)[٣٦].

عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم (أتانى آت من ربى فأخبرنى- أو قال: بشرنى- أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، فقلت وإن زنى وإن سرق قال وأن زنى وإن سرق) [٣٧] .

قال صلى الله عليه وسلم (يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين)[٣٨] .

قال صلى الله عليه وسلم (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين)[٣٩].

قال صلى الله عليه وسلم (أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل) [٤٠] (ضبائر ضبائر أى جماعات جماعات).

قال صلى الله عليه وسلم (إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة) [٤١] دارات جمع دارة، وهى ما يحيط بالوجه من جوانبه، أراد: أن وجوههم لا تأكلها النار، لأنه محل السجود، وقد جاء فى الحديث، أن النار لا تأكل مواضع السجود.

الشفـــاعة

الشفاعة فى اللغة تطلق على الوسيلة والطلب، وهى عرفا طلـب الخيـر للغيـر، وأصـل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا إذا ضمه إليه وسمى الشافع شافعا لأنه يضم طلبـه ورجـاءه إلى طلب المشفوع له.

والشفاعة يوم القيامة هى من باب الرحمة والكرم والفضل من الله، وليست حقا لأحد ولكنها عطاء من الله سبحانه وتعالى لعباده الذين آمنوا به ليغفر لهم خطاياهم. وهى من الأمور التى ثبتت بالكتاب والسنة وأحاديثها متواترة **قال تعالى** ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة:٢٥٥ فنفى الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن، **قال تعالى** ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم:٢٦، فبين الله سبحانه أن الشفاعة الصحيحة هى التى تكون بإذنه ولمن يرتضى قوله وعمله. وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة فى نفى الشفاعة مثل **قوله تعالى** ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ المدثر:٤٨، وغيرها فإن الشفاعة المنفية هنا هى الشفاعة فى أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التى يثبتها المشركون لأصنامهم، وهى التى تكون بغير إذن الله ورضاه.

وقسم العلماء الشفاعة إلى خمسة أنواع:

١. **الشفاعة العظمى**: والمراد بها شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم حين يشفع فى فصل القضاء وبداية الحساب لإراحة الخلق جميعا من طول الموقف وأهواله، فيفتح بذلك باب الشفاعة لغيره. وهذه الشفاعة العظيمة هى التى يغبطه عليها الأولون والآخرون وهى المقام المحمود الموعود به فى **قوله تعالى** ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ الإسراء:٧٩ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال (سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فى الآية "عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " فقال هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى) [٤٢].

٢. **الشفاعة فى دخول فريق الجنة** بغير حساب وهذه أيضا يختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣. **الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة**. وهذه ليست خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم إجماعا. فمن العلماء من قال: هى للنبى صلى الله عليه وسلم وحده، ومنهم من قال هى له صلى الله عليه وسلم ولغيره ممن ارتضى الله من عباده لمن يشاء هذه الأنواع الثلاثة المتقدم ذكرها موضع اتفاق بين علماء المسلمين.

وهناك نوعان من الشفاعة أنكرهما المعتزلة و الخوارج وأثبتهما أهل السنة هما:

٤. **الشفاعة فى مرتكب الكبيرة** قبل دخول النار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " [٤٣].

٥. **الشفاعة فى إخراج مرتكب الكبيرة** من النار، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين" [٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه " وله صلى الله عليه وسلم فى القيامة ثلاث شفاعات:

أما الشفاعة الأولى:

فيشفع فى أهل الموقف، حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهى إليه.

وأما الشفاعة الثانية:

فيشفع فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة:

فيشفع فيمن أستحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن أستحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله تعالى من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضله ورحمته " [٤٥].

والشفاعة يوم القيامة لا تتم جزافا ولكن تتم وفق شروط وقواعد حددها سبحانه وتعالى:

أولا: أمر الشفاعة لله وحده ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الزمر: ٤٤.

ثانيا: الشافع- طالب الشفاعة- وهو من عباد الله الصالحين سواء ملائكة أو بشر، ولا تكون الشفاعة لأحد عند الله من ملك أو نبى حتى يؤذن له فى الشفاعة، **قال تعالى** ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ سبأ:٢٣ أى يكون الشفعاء على غاية الفزع من الله لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف الشديد أن يقع منهم تقصير، حتى إذا زال الفزع والخوف من قلوب الشفعاء من الملائكة والأنبياء قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم فى أمر الشفاعة؟ فأجابوهم بقولهم: قد أذن فيها للمؤمنين وهو تعالى المتفرد بالعلو والكبرياء. وأول الشفعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تقدم شفاعته على جميع الأنبياء والمرسلين والصالحين، ففى الحديث الذى أخرجه الأمام مسلم فى صحيحه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة.. وأول من تنشق عنه الأرض .. وأول شافع.. وأول مشفع) [٤٦].

وقال صلى الله عليه وسلم (لكل نبى سأل سؤلا - أو قال: لكل نبى دعوة قد دعا بها- فاستجيب. فجعلت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة) [٤٧].

وقال صلى الله عليه وسلم (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وأبعثه مقاما محمودا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة)[٤٨].

وقال صلى الله عليه وسلم (اقرؤوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) [٤٩].

ثالثا: المستحق للشفاعة يوم القيامة لابد أن يتوافر فيه شرطان:

الشرط الأول:

أن يكون من المؤمنين أهل لا إله إلا الله **قال تعالى** ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ مريم:٨٧ قال ابن عباس: العهد شهادة أن لا إله إلا الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال (قلت يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه) [٥٠].

وقال صلى الله عليه وسلم (لكل نبى دعوة مستجابة، يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة)[٥١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه "مذهب أهل السنة والجماعة أن للنبى صلى الله عليه وسلم شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر، ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محبا له معظما له لم تنقذه شفاعته من النار وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به "[٥٢].

الشرط الثانى:

لا تنفع الشفاعة أحد إلا لمن يأذن له الرحمن فى أن يشفع له، ورضى لأجله شفاعة الشافع **قال تعالى** ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه:١٠٩، يقول الشيخ الشعراوى تفسيرا لهذه الآية (هذه للمشفوع له، أن يقول قولا يرضى الله عنه- وإن قصر فى جهة أخرى- وخير ما يقوله العبد ويرضى عنه الله أن يقول لا إله إلا الله محمدا رسول الله، فهذه مقولة مرضية عند الله، وهى الأمل الذى يتعلق به والبشرى لأهل المعاصى؛ لأنها كفيلة أن تدخلهم فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم) [٥٣].

كثير من الملائكة الأبرار الأطهار المنبثين فى السموات مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم أيضا لا تنفع شفاعتهم أحدا إلا من بعد أن يأذن الله تعالى فى الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد والإيمان ويرضى عنه **قال تعالى**﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦ **وقال تعالى** ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

رابعا : هناك من لا تنفعهم شفاعة مثل المجرمين الكافرين المكذبين بيوم القيامة:

قال تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المدثر: ٣٧ – ٤٨ .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الروم:١٢ – ١٣.

وقال تعالى﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨.

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٩٠ – ١٠٢.

وقال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

نهاية يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادى: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مريم :٣٩ وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا) [٥٤] .

وكما بدأت مواقف وحوارات اليوم الآخر بحمد الله **قال تعالى** ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء:٥٢.

تنتهى بتسبيح الكون كله بما فيه بحمد الله **قال تعالى** ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الزمر:٧٥ أى نطق الكون كله لله رب العالمين بالحمد فى حكمه وعدله، ولهذا لم يسند سبحانه وتعالى القول إلى قائل، بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

وأختم هذا الكتاب بآخر آية نزلت من القرآن الكريم وبعدها انقطع الوحى فكانت آخر تحذير من الله سبحانه لأهل الأرض ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة:٢٨١.

هنا نحن قد وصلنا إلى نهاية أحداث يوم القيامة بكل ما فيه من مواقف وحوارات، ولعلنا عرفنا وعلمنا بما لا يقبل الشك ما سوف نلاقيه، وأننى أرجو من الله سبحانه أن يوفقنا جميعا لأن نأخذ ما ورد فى هذا الكتاب بجدية استجابة لتوجيه المولى سبحانه **وتعالى** ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة:٦٣، ولاننسى **قوله سبحانه وتعالى** ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر:٤٩-٥٠.

۞ الهـــوامش ۞

(١) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٣٢٦٥) كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة.

(٢) رواه البخارى رقم (٦٥٦٩) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٣) رواه ابن ماجة فى سننه (٤٣٤١) قال البوصيرى فى زوائده اسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٧ ص١٨٠ حديث رقم (٢٨٤٥)، باب جهنم أعاذنا الله منها.

(٥) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٥٦١) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٧ ص١٨٦ رقم (٢٨٥١) فى باب جهنم أعاذنا الله منها.

(٧) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٥٥١) فى كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٨) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٣٠٧٣) فى كتاب الجهاد باب الغلول.

(٩) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (١٤٠٢) فى كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة.

(١٠) رواه البخارى حديث رقم (٦٥٦٩)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٧ ص١٨٦ رقم (٢٨٥١) فى صفة الجنة باب جهنم أعاذنا الله منها.

(١٢) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٥٥١) فى كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(١٣) رواه البخارى حديث رقم (٦٥٦١) فى كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(١٤) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج٨ ص١٢ أخرجه أبوداود فى العلم باب ما جاء فى كتمان العلم.

(١٥) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج٨ ص٤٤٨ أخرجه أبو داود رقم (٤٨٧٨) فى الأدب، باب الغيبة.

(١٦) رواه البخارى حديث رقم (٣١٩٦) فى بدأ الخلق، باب ما جاء فى سبع أرضين.

(١٧) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٣٢٦٧) فى بدء الخلق باب صفة النار.

(١٨) أخرجه البخارى رقم (١٣٦٥) فى كتاب الجنائز، باب ما جاء فى قتل النفس.

(١٩) متفق عليه، أخرجه البخارى رقم (٥٧٧٨) كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخبيث.

(٢٠) البخارى رقم (٧٠٤٢) كتاب التعبير، باب من كذب فى حلمه.

(٢١) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٥٢٣) فى الرقاق، باب الحشر.

(٢٢) المرسلات: ٢٩-٣٤، تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص٥٠٢-٥٠٣ بتصرف.

(٢٣) الطور: ١١-١٦، تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ٢٦٣ بتصرف.

(٢٤) الزمر: ٧١-٧٢ تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص ٨٩ بتصرف.

(٢٥) الأنعام: ٢٧-٢٩ تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج١ ص٣٨٥ بتصرف.

(٢٦) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ج٤ ص٣٤٨.

(٢٧) ق: ٢١-٢٩، تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٣ ص٢٤٤-٢٤٦ بتصرف.

(٢٨) الشعراء: ٩١-١٠٢ تفسير الآيات فى صفوة التفاسير للصابونى ج٢ ص٣٨٥ بتصرف.

(٢٩) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٦٦١) فى كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته.

(٣٠) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٦٥٥٧) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٣١) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٧ ص١٤٩ رقم (٢٨٠٧) فى المنافقين، باب صبغ أنعم أهل الدنيا فى النار.

(٣٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١١ ص ٢٧٠.

(٣٣) تفسير الشعراوى ج٤ ص ٢٥٥٩ – ٢٥٦٠.

(٣٤) تفسير الشعراوى ج٩ ص٥٢٦٧ – ٥٢٦٨.

(٣٥) متفق عليه، أخرجه البخارى حديث رقم (٢٢) كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال.

(٣٦) أخرجه البخارى حديث رقم (٤٤) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣٧) أخرجه البخارى حديث رقم (١٢٣٧) كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

(٣٨) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٥٩)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٣٩) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٦٦) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٤٠) صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص٣٧ رقم (١٨٥) فى الإيمان باب إثبات الشفاعة و إخراج الموحدين من النار.

(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص٥٠ رقم (١٩١) فى الإيمان، باب خروج عصاة المؤمنين من النار.

(٤٢) أخرجه احمد والترمذى والبيهقى.

(٤٣) جامع الأصول لأحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٧٦ أخرجه الترمذى رقم ٢٤٣٧ فى صفة القيامة، باب ما جاء فى الشفاعة وهو حديث صحيح وأخرجه أيضا أبو داود وابن ماجة.

(٤٤) أخرجه البخارى حديث رقم (٦٥٦٦) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٤٥) مجموع فتاوى أبن تيمية ج٣ ص ١٤٧.

(٤٦) صحيح مسلم رقم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق.

(٤٧) متفق عليه البخارى رقم (٦٣٠٥) كتاب الدعوات، باب لكل نبى دعوة مستجابة.

(٤٨) أخرجه البخارى (٦١٤) فى كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء.

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى ج٦ ص٩٠ جزء من حديث فى صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٥٠) أخرجه البخارى رقم (٦٥٧٠) فى الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٥١) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٦٣٠٤) فى الدعوات، باب لكل نبى دعوة.

(٥٢) مجموع فتاوى أبن تيمية ج١ ص١٥٣.

(٥٣) تفسير الشعراوى ج١٥ ص٩٣٩٦.

(٥٤) متفق عليه البخارى رقم (٤٧٣٠) كتاب التفسير، باب وأنذرهم يوم الحسرة.

obeikandl.com

مـــراجع الكتاب

- القرآن الكريم.
- أحمد إبراهيم مهنى، تبويب آى القرآن الكريم من الناحية الموضوعية؛ القاهرة: مؤسسة دار الشعب.
- أحمد بن تيمية؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية؛ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم؛ تصوير ط١؛ المملكة العربية السعودية، ١٣٩٨.
- ابن الأثير الجزرى، جامع الأصول فى أحاديث الرسول؛ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط؛ مكتبة الحلوانى، ١٩٧٢.
- بن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى؛ المملكة العربية السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- صبحى عبد الرءوف عصر، المعجم الموضوعى لآيات القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الفضيلة.
- سيد قطب؛ مشاهد القيامة فى القرآن الكريم؛ ط١٠؛ القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢.
- القرطبى، الجامع لأحكام القرآن؛ القاهرة: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
- بن قيم الجوزية؛ تهذيب مدارج السالكين؛ عبد المنعم صالح العلى العزى؛ القاهرة: المكتبة القيمة للطباعة والنشر.
- بن قيم الجوزية؛ الروح؛ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح؛ ط٤.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد إبراهيم البنا وأخرون، القاهرة، مطبعة الشعب.
- محمد الأمين الشنقيطى؛ أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن؛ المملكة العربية السعودية ١٩٨٣.
- محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الحديث ١٩٨٧.
- محمد عبده، تفسير جزء عم؛ القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٨٩.
- محمد عبده، رسالة التوحيد دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، دار الهلال: سلسلة دار الهلال. العدد ٣٥٥ يوليو ١٩٨٠ ص١٧٥.
- محمد على الصابونى، صفوة التفاسير؛ ط٤؛ بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٠.
- محمد متولى الشعراوى، تفسير الشعراوى؛ القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم.

- محمد متولى الشعراوى؛ معجزة القرآن ج٩؛ القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم.
- محمد متولى الشعراوى؛ معجزة القرآن (ج١٠ مشاهد يوم القيامة)؛ القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٨٨ (سلسلة كتاب اليوم: ٢٨١).
- محمد متولى الشعراوى؛ معجزة القرآن (ج١١ مشاهد يوم القيامة)؛ محمد متولى الشعراوى القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٨٩ (سلسلة كتاب اليوم: ٢٩٣).
- النووى، صحيح مسلم بشرح النووى، دار الريان للتراث.

obeikandl.com